سلسلة الخطب الدعوية (٢-٢٥)

الله جَلَّ جَلَالُهُ وكتابه

مجموعة خطب ألقيتها من على منبر الجمعة وهي مناسبة أن تُلقى
كمحاضرات أو كلمات في المساجد والمدارس والإذاعات وغيرها.

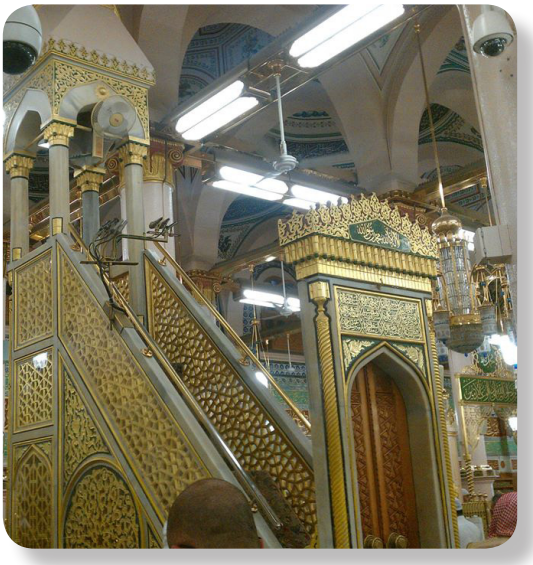

أعدها وألقاها

حمد بن إبراهيم بن صالح الحريقي

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

الطبعة الأولى

شعبان ١٤٤٢ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[2].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[3].

أما بعد:

فهذه مجموعة من الخطب المنبرية والتي ألقيتها خلال قيامي بالخطابة في عدد من جوامع المملكة العربية السعودية وأغلب هذه الخطب كانت في جامع البساتين بمحافظة القويعية في الفترة من عام ١٤١٤-١٤٢٤هـ.

ولا أزعم أن هذه الخطب المدونة كانت من اجتهادي الخاص ولكنني استفدت من عدد من الكتب ودواوين الخطب المطبوعة ويبقى أن لكل خطيب بصمته الخاصة في الإعداد وطريقته المتميزة في الإلقاء عن غيره.

---

(١) [سورة آل عمران: آية ١٠٢].

(٢) [سورة النساء: آية ١].

(٣) [سورة الأحزاب: آية ٧٠-٧١].

وكان الباعث لنشر هذه الخطب هو الحاجة الماسة لدى الكثير من الخطباء في هذا العصر وطلبهم للخطب والبحث عما كُتب من قبل ومساهمة في نشر الخير وإعانة للخطباء والوعاظ والمتكلمين وغيرهم ممن ينشر الخير والفائدة في المساجد والمدارس والإذاعات كان إخراجها ونشرها.

وهي صالحة بإذن الله للخطابة فيها وإلقاءها عن طريق الكلمات في المساجدأو المدارس أو عبر وسائل التواصل الاجتماعي.

أسأل الله أن يبارك في هذه الخطب وأن يجعلها حجة لنا لا علينا وأن ينفع بها عموم المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

والله وحده الموفق لكل خير.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

حمد بن إبراهيم الحريقي

في الخامس من رمضان لعام ١٤٤١ هـ أيام وباء كورونا (كوفيد ١٩)

في البلد الحرام مكة المكرمة - حرسها الله -

جوال ٠٠٩٦٦٥٥٥٤٢٢٥٢٠

❊❊❊

سلسلة الخطب الدعوية :

م	العنوان	م	العنوان
١	الإيمان والتوحيد.	١٤	التربية.
٢	الله جل جلاله وكتابه الكريم.	١٥	الآداب.
٣	محمد صلى الله عليه وسلم وسنته.	١٦	الأخلاق الحسنة.
٤	الصلاة والزكاة.	١٧	الأخلاق السيئة.
٥	الصيام.	١٨	المحرمات.
٦	الحج والعمرة.	١٩	الأمن.
٧	العيدين والاستسقاء.	٢٠	العالم الإسلامي.
٨	أشراط الساعة.	٢١	الطوائف والفرق.
٩	الموت والدار الآخرة.	٢٢	الشباب.
١٠	الفتن والبلاء.	٢٣	المرأة.
١١	السير والمعارك.	٢٤	الزواج.
١٢	الحقوق.	٢٥	الدراسة والإجازة.
١٣	القصص.		

❋❋❋

البكاء من خشية الله

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ... أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾(١).

لقد أنزل الله القرآن الكريم عظات وعبراً وحججاً قائمة ومذكراً كلها تتوارد على قلوب الواعين ونفوس الطيبين فتعمل فيها عملها توقظ النائم وتنبه الغافل وتعلم الجاهل وتزيد في يقظة وإيمان وإيقان الطائع.

آياته كلما طال المدى جددٌ ... يزينهن جلال العتق والقدم
يكاد في لفظةٍ منه مشرفةٍ ... يوصيك بالحق والتقوى وبالرحم

وقال جل من قائل عليماً ومن أصدق من الله قيلاً ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾(٢).

وقال سبحانه ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾(٣).

ويقول سبحانه في بيان من أنواع أحوالهم عند سماع القرآن وتأثر نفوسهم به حين توارده عليها ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟

(١) سورة البقرة: آية ١٩٧.
(٢) سورة الزمر: آية ٢٣.
(٣) سورة الرعد: آية ٢٨.

مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾[1].

إن الله جلت قدرته بإنزاله لهذه الآيات وأمثالها ومدحه لمن تحلوا بها وثنائه عليهم ليدعو المؤمنين ويأمر الناس أجمعين أن يتحلوا بهذا الأمر وهو الإقبال على كتاب الله بقلوب خاشعة ونفوس طائعة بمشاعر صادقة وجوارح مستسلمة له ظاهرٌ عليها العمل به كما قال تعالى ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾[2].

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما كانَ بيْنَ إسْلَامِنَا وبيْنَ أنْ عَاتَبَنَا اللَّهُ بهذِه الآيَةِ: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾[3] إلَّا أرْبَعُ سِنِينَ»[4].

وارغبوا بجدية فيما رغبكم الله به من البكاء عند سماع بشائر ونذر كتاب الله تعالى بوجه خاص ومن خشية الله بوجه عام بكاء إنسان راج وخائف، راج وعد الله وخائف عقابه فلقد كان ذلكم خلق المؤمنين وطابع عباد الله الصالحين وفي مقدمتهم رسل الله عليهم الصلاة والسلام.

روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قالَ لي النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اقْرَأْ عَلَيَّ، قُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، آقْرَأُ عَلَيْكَ، وعَلَيْكَ أُنْزِلَ، قالَ: نَعَمْ فَقَرَأْتُ سُورَةَ النِّساءِ حتَّى أتَيْتُ إلى هذِه الآيَةِ: ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ﴿٤١﴾﴾[5]، قالَ: حَسْبُكَ الآنَ فالْتَفَتُّ إلَيْهِ، فإذا عَيْناهُ

(١) سورة المائدة: آية ٨٣.
(٢) سورة الحديد: آية ١٦.
(٣) سورة الحديد: آية ١٦.
(٤) صحيح مسلم (٣٠٢٧).
(٥) سورة النساء: آية ٤١.

تَذْرِفانِ»[1].

وقال عبد الله بن الشخير قال: «رأيتُ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي وفي صدرِه أَزِيزٌ كأَزِيزِ الرَّحَى مِنَ البُكاءِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[2].

ويقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عموم البكاء من خشية الله: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى في ظِلِّهِ يومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّهُ: إمَامٌ عَدْلٌ، وشَابٌّ نَشَأَ في عِبَادَةِ اللَّهِ، ورَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ في المَسَاجِدِ، ورَجُلَانِ تَحَابَّا في اللَّهِ، اجْتَمعا عليه وتَفَرَّقَا عليه، ورَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وجَمَالٍ فَقَالَ: إنِّي أَخَافُ اللَّهَ، ورَجُلٌ تَصَدَّقَ بصَدَقَةٍ فأَخْفَاهَا حتَّى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ ما تُنْفِقُ يَمِينُهُ، ورَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»[3].

وفي الحديث الآخر: «لا يلِجُ النَّارَ رجُلٌ بَكَى مِن خشيَةِ اللَّهِ حتَّى يَعودَ اللَّبنُ في الضَّرعِ ، ولا يجتَمِعُ غبارٌ في سبيلِ اللَّهِ ودخانُ جَهَنَّمَ»[4].

وانهجوا هذا المنهج تصفوا نفوسكم وتلين قلوبكم وتلحقوا بعباد الله الصالحين وإياكم والتعلل بأنه لا سبيل للخشوع ولا لذرف الدموع فهو أمر طبعي لا نملكه ولكن المؤمن الحق يبذل الجهد ويهيئ النفس ويقدم الأسباب لجلب الخشوع من جدية في طلب الخير وتنقية حقيقية للمطعم والمشرب عن الحرام وبعد عن مقسيات وملهيات القلوب واستحضار لعظمة الله تعالى واجلاله واطلاعه على العبد لا سيما في هذا المقام وغير ذلك مما تهيأ به النفوس لتلاوة القرآن في الساعة التي نوه الله عنها بقوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ

(١) أخرجه البخاري (٥٠٥٠) واللفظ له، ومسلم (٨٠٠).
(٢) صحيح أبي داود (٩٠٤).
(٣) أخرجه البخاري (١٤٢٣) واللفظ له، ومسلم (١٠٣١).
(٤) صحيح الترمذي (١٦٣٣).

﴿أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾[1] ونحو ذلك مما يفتح القلوب ويهيء النفوس لتقبل ما يجلب إليها الخشوع ويسيل منها الدموع خشية لله ورغبا فيما عند الله وبعداً عما ذمه الله تعالى كما قال سبحانه ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝٥٩ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۝٦٠ وَأَنتُمْ سَامِدُونَ ۝٦١ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ۝٦٢﴾[2].

❊❊❊

(١) سورة المزمل: آية ١-٥.

(٢) سورة النجم: آية ٥٩-٦٢.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ويرضى وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ..... أما بعد:

إن خشوع القلوب ورقتها ولينها وتأثرها وادكارها واعتبارها عند سماع القرآن أمر مطلوب ولكن ماذا يعني خشوع ولين وتأثر وادكار واعتبار وقتي لا أثر له أو يقل أثره في حياة الخاشع فيما بعد فماذا يعني؟ بل الأمر في حقه أشنع والخطب بالنسبة له أفظع لما في ذلك من إقامة الحجة وإبراز المحبة على فاعله فلينتبه لهذا الأمر الخطير.

❋❋❋

علم الله تعالى

الحمد لله يعلم ما في السموات وما في الأرض ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾[1] وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾[2] وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله الله بالهدى ودين الحق وجعله خاتم النبيين والله بكل شيء عليم صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً .. أما بعد:

فيا أيها المسلمون: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾﴾[3] ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾﴾[4].

حديثي معكم عن علم الله تعالى المحيط بكل شيء لنرجو وعده ونحذر وعيده ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾﴾[5].

لقد سمى الله تعالى نفسه بعدة أسماء حسنى تفيد صفة العلم الذي هو من صفاته الذاتية من ذلك أن سمى نفسه بالعليم والحكيم قال سبحانه ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ

(١) سورة المجادلة: آية ٧.
(٢) سورة الحديد: آية ٣.
(٣) سورة الأنفال: آية ٢٠.
(٤) سورة البقرة: آية ٢٣١.
(٥) سورة إبراهيم: آية ٣٨.

﴿ٱلْحَكِيمُ ۝٢﴾[1]، وسمى نفسه بالخبير وهو الذي يعلم ما يكون قبل أن يكون قال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۝٣٤﴾[2] ومن ذلك الشهيد أي الذي لا يغيب عنه شيء فقال سبحانه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝١٧﴾[3]، ومن ذلك الحفيظ والمحصي الذي لم ينسى ما علم قال سبحانه ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ۝٢١﴾[4] وقال أيضاً ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ۝٢٨﴾[5] وعلم الله تعالى ليس كعلم البشر يعتريه النسيان فقد قال سبحانه ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ۝٦٤﴾[6].

بل إن الله تعالى يعلم السر وأخفى والغيب والشهادة والقليل والكثير بل إنه سبحانه يعلم مثاقيل الخردل والذرات في السموات والأرض والصخر قال تعالى عن لقمان أنه قال لابنه ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ۝١٦﴾[7] وقال سبحانه ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٣﴾[8] وقال سبحانه ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤﴾[9].

إن الله يرى مكانكم ويسمع كلامكم ويعلم سركم وجهركم وهو سبحانه شهيد

(١) سورة التحريم: آية ٢.
(٢) سورة لقمان: آية ٣٤.
(٣) سورة الحج: آية ١٧.
(٤) سورة سبأ: آية ٢١.
(٥) سورة الجن: آية ٢٨.
(٦) سورة مريم: آية ٦٤.
(٧) سورة لقمان: آية ١٦.
(٨) سورة سبأ: آية ٣.
(٩) سورة الحديد: آية ٤.

على أعمالكم سواء كنتم في ظلمات الليل أو في ضوء النهار أو كنتم في الأجواء أو في البحار أو كنتم في البيوت أو في القفار فاحذروه سبحانه فإنه يعلم ما أنتم عليه وكونوا من ﴿ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشۡفِقُونَ ٤٩﴾[1].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في علم الله:

وهو العليم أحاط علماً بالذي ... في الكون من سر ومن إعلان
وبكل شيء علمه سبحانه ... فهو المحيط وليس ذا النسيان
وكذاك يعلم ما يكون غداً وما ... قد كان والموجود في ذا الآن

فلا إله إلا الله قد أحاط بكل شيء علماً.

واحذروا النفاق والرياء فإن الله تعالى يعلم ظواهر الأمور وما تخفيه الصدور قال جَلَّ وَعَلَا ﴿قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٩﴾[2] إن المنافقين يهلكون أنفسهم في الادعاءات الكاذبة والله يعلم إنهم لكاذبون ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ٧٨﴾[3] وليحذر أولئك المنافقون ﴿ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ١٥٢﴾[4].

واحذروا فتنة النظر وغضوا لله البصر فإن الله تعالى لا تخفى عليه مسارقة النظرات ولا حديث الخطرات قال تعالى ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ١٩﴾[5] وقال

(١) سورة الأنبياء: آية ٤٩.
(٢) سورة آل عمران: آية ٢٩.
(٣) سورة التوبة: آية ٧٨.
(٤) سورة الشعراء: آية ١٥٢.
(٥) سورة غافر: آية ١٩.

النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «أفضلُ الإيمانِ أن تعلمَ أنَّ اللَّهَ معَكَ حيثُما كنتُ»(١).

واتق الله تعالى فلا يراك حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ٤﴾(٢) وقد كان الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة والجماعة كثيراً ما يردد هذه الأبيات:

إذا ما خلوت الدهر يومًا فلا تقل ... خلوت ولكن قل علي رقيب

ولا تحسبن الله يغفل ساعة ... ولا أن ما تخفي عليه يغيب

وعن الحسن رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه قال «ما نظرت ببصري ولا نطقت بلساني ولا بطشت بيدي ولا نهضت على قدمي حتى أنظر على طاعة أو على معصية فإن كانت على طاعة تقدمت وإن كانت على معصية تأخرت».

واتق الله في شأنك كله في عباداتك ومعاملاتك تكن محسنًا ويكن الله معك فالإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. وقال سبحانه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾(٣).

اللهم اجعلنا من عبادك المتقين وأوليائك المحسنين برحمتك يا أرحم الراحمين.

❋❋❋

(١) جموع الفتاوى (٣/ ١٤٠) حسن.

(٢) اسورة الطلاق: آية ٤.

(٣) سورة النحل: آية ١٢٨.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً مزيداً ..... أما بعد:

فيا أيها المسلمون اتقوا الله تعالى ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾[1].

إن علم الله تعالى كامل وشامل لكل شيء قال سبحانه ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾﴾[2] وقال عَزَّوَجَلَّ ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾﴾[3] وما نشاهده في جميع الكون لدليل واضح على شمول علم الله وكمال حكمته ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾[4].

ولتعلموا يا عباد الله أن الله يعلم ما تبدون وما تكتمون ويعلم ما تسرون وما تعلنون ويعلم ما تحبون وما تكرهون والله يعلم وأنتم لا تعلمون فكونوا على مراد الله ونهيه فهو خير لكم إن كنتم تعلمون. فغضوا أبصاركم واحفظوا فروجكم وأرضوا بما قسم الله لكم ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض وأسالوا الله

(١) سورة البقرة: آية ٢٣٥.
(٢) سورة الأنبياء: آية ٨١.
(٣) سورة الحجرات: ١٦.
(٤) سورة الجاثية: ٣٦-٣٧.

مـن فضله واحذروا أكل الربـا والإعانة عليه واحذروا موالاة أعداء الله وأعدائكم من اليهود والنصارى وسائر الكفار الفجار ولنعلم أن مراقبة الله وتقواه من صفات أصحاب القلوب السليمة.

قـال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: المراقبة هي دوام علم العبد باطلاع الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على ظاهرة وباطنه فاستدامته لهذا العلم واليقين هي المراقبة وهي ثمرة علمه بأن الله تعالى رقيب ناظر إليه وسامع لقوله ومطلع عليه في كل وقت وكل لحظة وكل طرفة عين.

اللهم إنك أنت العليم بكل شيء فيسر أمرنا وأصلح حالنا.

❊❊❊

أسباب رحمة الله تعالى

الحمد لله الذي سبقت رحمته غضبه ووسعت مغفرته خلقه وهو الرحيم الغفور، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له عالم غيب السموات والأرض إنه عليم بذات الصدور وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً ..... أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله ثم توبوا إليه لعلكم ترحمون ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ ۚ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾[1].

إن الله سبحانه هو الرحمن الرحيم وكتب على نفسه الرحمة فقال عَزَّوَجَلَّ ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[2] ولكن رحمته تعالى لا تكون إلا لمن شاء سبحانه وأتى بأسبابها وسأذكر -إن شاء الله- شيئاً من أسباب رحمة الله تعالى تلك الرحمة الواسعة التي من شملته وأدخل فيها فقد سلم ونجا وسعد وكان من المفلحين فهنيئاً لعبد فتحت له رحمة الله.

استفتحوا رحمة الله بطاعته سبحانه وطاعة رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء

(١) سورة غافر: آية ٧-٩.

(٢) الأعراف: ١٥٦.

الـزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإحسـان إلى عبـاد الله وبالتقوى والإيمان بالله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والاسـتغفار والرجوع إليه والرحمة بالناس والإصـلاح بينهم والصلاة بالليل فعرضوا أنفسـكم رحمكم الله لرحمة الله تعالى عسى ربكم أن يرحمكم.

ومـن أسـباب رحمـة الله طاعته سـبحانه وطاعة رسـوله قال سـبحانه ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾[1] وذلـك بامتثـال الأوامـر واجتنـاب النواهـي واحذروا -رحمكم الله- معصية الله ومعصية رسـوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فمن عصى ولم يطع فإنه لا يستحق الرحمة وإنما هو متعرض للعذاب ومستحق للعقاب، قال عَزَّوَجَلَّ ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً ﴿١٠﴾﴾[2] وقـال سـبحانه ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾[3].

ومن أسـباب رحمة الله إقام الصلاة وإيتاء الزكاة قال سبحانه ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾[4] ولنعلم جميعًا أن الذي لا يصلي أو يؤخـر الصـلاة عن وقتها بلا عذر أو لا يخرج الزكاة من ماله فقد عرض نفسـه للعقوبـة في الدنيا والآخـرة فقال جل ذكره في أصحاب الوجوه الباسـرة عياذ بالله ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾﴾[5] وقـال سـبحانه ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾﴾[6].

(١) سورة آل عمران: آية ١٣٢.
(٢) سورة الحاقة: آية ١٠.
(٣) سورة البقرة: آية ٦١.
(٤) سورة النور: آية ٥٦.
(٥) سورة القيامة: آية ٣١-٣٢.
(٦) سورة فصلت: آية ٦-٧.

ومن أسباب رحمة الله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال سبحانه ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾[1].

كما أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف سبب للبعد عن رحمة الله وسبب لغضب الله فقال جل من قائل ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[2] واللعن هو الطرد والإبعاد عن رحمة الله.

ومن أسباب رحمة الله الإحسان إلى خلق الله قال عَزَّوَجَلَّ ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾[3] وقال عَزَّوَجَلَّ ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾[4] وقال سبحانه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾[5].

فأحسنوا -رحمكم الله- فإن الله يحب المحسنين وأحسنوا إلى والديكم والى أقربائكم والى جيرانكم والى اليتامى والمساكين وأحسنوا في أقوالكم وادفعوا بالتي هي أحسن واحذروا من الإساءة فهي سبب للعقوبة قال تعالى ﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ ﴾[6] وقال سبحانه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ

(١) سورة التوبة: آية ٧١.
(٢) سورة المائدة: آية ٧٨-٧٩.
(٣) سورة الأعراف: آية ٥٦.
(٤) سورة الرحمن: آية ٦٠.
(٥) سورة النحل: آية ١٢٨.
(٦) سورة النحل: آية ٣٤.

أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٖ ﴿١١﴾ ﴾[1].

اللهم إنا نسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة، ربنا هب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

❊❊❊

(١) سورة الرعد: آية ١١.

الخطبة الثانية

الحمد لله يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له إنه بعباده خبير بصير وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فنواصل ذكر أسباب رحمة الله تعالى نسأل الله أن يجعلنا وإياكم وجميع المسلمين من المرحومين يا رب العالمين.

فمن أسباب رحمة الله تقوى الله فقال سبحانه ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٠﴾[1] وإن الفسق ومجانبة التقوى سبب لعذاب الله فقال سبحانه ﴿وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ١٦٥﴾[2].

ومن أسباب رحمة الله الاستغفار والتوبة قال جَلَّ وَعَلَا ﴿لَوۡلَا تَسۡتَغۡفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٤٦﴾[3] وقال سبحانه ﴿لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾[4].

ولنحذر من الغفلة والتمادي في ظلم النفس والتسويف بالتوبة فإن ذلك سبب للهلاك والعقوبات ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ١﴾[5].

ومن أسباب رحمة الله الرحمة بعباد الله وخاصة الضعفاء: فقد قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ:

---

(١) سورة الحجرات: آية ١٠.

(٢) سورة الأعراف: آية ١٦٥.

(٣) سورة النمل: آية ٤٦.

(٤) سورة الزمر: آية ٥٣.

(٥) سورة الأنبياء: آية ١.

«مَن لا يرحَمِ النَّاسَ لا يرحَمْه اللهُ»[1]. وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الراحمون يرحمُهم الرحمنُ. ارحموا من في الأرضِ يرحمْكم من في السماءِ، الرحمُ شِجنةٌ من الرحمنِ فمن وصلها وصله اللهُ ومن قطعها قطعه اللهُ»[2].

فارحموا فقراءكم وضعفائكم ألا وإن من الرحمة في هذا الباب الرحمة بالعمال وغيرهم من المكفولين فاتقوا الله أيها الكفلاء ويا أصحاب الأعمال والمؤسسات اتقوا الله بمن تحت أيديكم من العمال والموظفين فلا تكلفوهم من الأعمال ما لا يطيقون ولا تبخسوهم أشياءهم ولا تؤخروا مرتباتهم وساعدوهم وأعينوهم خاصة المسلمين منهم، واحذروا الإساءة والظلم والاستعلاء عليهم فان فعلتم فويل لكم من سوء المنقلب.

أما والله إن الظلم شؤم ... وما زال الظلوم هو الملوم
إلى ديان يوم الدين نمضي ... وعند الله تجتمع الخصوم
ستعلم في المعاد إذا التقينا ... إذا عند المليك من الظلوم

اللهم يا رحمن يا رحيم افتح لنا من رحمتك ما تغنينا بها عن رحمة من سواك، ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين، اللهم ادخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

❊❊❊

(١) أخرجه البخاري (٧٣٧٦) واللفظ له، ومسلم (٢٣١٩).

(٢) أخرجه الترمذي (١٩٢٤) واللفظ له، وأحمد (٦٤٩٤)،وأخرجه أبو داود (٤٩٤١) مختصرا.

سنن الله في الكون

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واقتفى أثره إلى يوم الدين وسلم تسليماً مزيداً إلى يوم الدين ... أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١﴾[1] وقال سبحانه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾[2].

وبإفراد النوازل الواقعة والفتن المتلاحقة في ديار المسلمين تكاد القلوب تطير هلعاً وجزعاً لهولها وتكاد أقدام تزل بعد ثبوتها أفيليق أن تهتز القناعات لحدث مدمر أو تتغير الثوابت لمحنة مزلزلة أو يفقد التوازن لقدر إلهي واقع؟ كلا والله والذين ينظرون بنور الله ويقرؤون آياته ويحسنون الظن بالله لا تروعهم الأحداث مهما كانت صامتها ولا يفقدون الثقة بأنفسهم ولا يسيئون الظن بربهم مهما أظلم الليل عليهم أولئك يفقهون قوله تعالى ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾[3].

قال أبو عبيده (عسى) من الله ايجاب والمعنى عسى أن تكرهوا ما في الجهاد

(١) سورة البقرة: آية ٢٨١.
(٢) سورة التوبة: آية ١١٩.
(٣) سورة البقرة: آية ٢١٦

من المشقة وهو خير لكم في أنكم تغلبون وتظفرون وتغنمون وتؤجرون ومن مات، مات شهيداً وعسى أن تحبوا الدعة وترك القتال وهو شر لكم في إنكم تُغلبون وتذلون ويذهب أمركم.

قال القرطبي – رحمه الله تعالى – تعليقاً على هذا الآية وهذا صحيح لا غبار عليه كما اتفق في بلاد الأندلس تركوا الجهاد وجنبوا عن القتال وأكثروا من الفرار فاستولى العدو على البلاد وأي بلاد؟ وأسر وقتل وسبى واسترق –فإنا لله وإنا إليه راجعون– ذلك بما قدمت أيدينا وكسبت.

هكذا يدرك العارفون فقه النوازل وكذلك ينبغي للمسلم أن ينظر بنور الله إلى الفتن والحوادث إن الشدة بعد الرخاء والرخاء بعد الشدة هما اللذان يكشفان عن معادن النفوس وطبائع القلوب ودرجة الغبش فيها والصفاء ودرجة الهلع فيها والصبر ودرجة الثقة فيها بالله والقنوط ودرجة الاستسلام فيها لقدر الله أو التبرج والجموح.

كذلك إخوة الإيمان امتحن الله المسلمين فيما مضى وزلزلوا زلزالا شديداً وكذلك يمتحن المسلمون اليوم وتموج الأرض من تحت أقدامهم ليميز الله الخبيث من الطيب وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين. وإن سنة الله ثابتة لا تتغير فالفساد في الأرض والتمرد على شرع الله والذل والهوان والرغبة في العاجلة والارتماء في أحضان الكافرين لابد أن يعاقب الله عليه حتى تصفوا النفوس وتستقيم القلوب.

يقول الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قوله تعالى ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾[1] أي لابد أن يعقد سبباً من المحنة يظهر فيها

(١) سورة آل عمران: آية ١٧٩.

وليه وينفضح فيها عدوه يعرف به المؤمن الصابر والمنافق الفاجر.

ومع ما يقدر الله على العباد من محن وبلايا وأحداث ورزايا فقد كتب على نفسه الرحمة فلا بتلك لحكمة وفي المحن منح وإن مع العسر يسرا ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ﴾[1] والمسلم العارف بربه يرافقه الشعور برحمة الله به في أي حال كان يستيقن أن الرحمة وراء كل لمحة وكل حالة وأن ربه لا يعرضه للابتلاء لأنه تخلى عنه أو طرده من رحمته، فإن الله لا يطرد من رحمته أحدا يرجوها وإنما يطرد الناس أنفسهم من هذه الرحمة حين يكفرون بالله ويرفضون رحمته ويبعدون عنها.

لا ولا ممسك لرحمة يفتحها الله للناس ولا مرسل لما أمسك فأين الواثقون بالله وبعطائه وأين الإيمان بآيات الله وأين اليقين والرضا والتسليم بما قدر الله وكيف تطلب الرحمة من غير واهبها وكيف يطلب المسلمون الإرسال والمدد من البشر وبيد خالقهم مفاتيح النفع والضر؟ وهل تطيب النعم لظاهرة إذا كانت بمنأى عن رحمة الله؟ وهل تغير المحن والبلايا إذا ظَلّلتْ أصحابها رحمة الله؟.

ولا ضيق مع رحمة الله إنما الضيق في إمساكها دون سواء ولا ضيق ولو كان صاحبها في غياهب السجون أو في جحيم العذاب أو في شعاب الهلاك ولا سعة مع إمساكها ولو تقلب الإنسان في أعطاف النعيم وفي مراتع الرخاء فمن داخل النفس برحمة الله تنفجر إليه ينابيع السعادة والرضا والطمأنينة ومن داخل النفس مع إمساكها تدب عقارب القلق والتعب والنصب ورحمة الله لا تعزُّ على طالب في أي مكان ولا في أي حال وجدها إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في النار ووجدها يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في الجب والسجن ووجدها يونس عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في بطن الحوت ووجدها

(١) سورة الأنعام: آية ١٢.

موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في اليم وهو طفل مجرد من كل قوة ومن كل حراسة ووجدها أصحاب الكهف في الكهف ووجدها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصاحبه في الغار ووجدها كل من آوى إليها يائساً من كل ما سواها منقطعاً عن كل شبهة وقوة وعن كل فطنة في رحمة الله قاصداً أبواب الله وحده لا شريك له.

ألا ما أحوجنا عباد الله إلى التأمل في كتاب الله نستلهم فيه الأمن والإيمان يُهدي من روعنا ويديم صلتنا بخالقنا ويذهب قلقنا ونستقيم معه حياتنا وقد علم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمته حين تصاب الهم والغم أن تقول فيما تقول «**ناصيتي بيدك ماضٍ فيَّ حكمُك عدلٌ فيَّ قضاؤُك**»[1] وذلك منتهى التسليم والرضا والحمد من الشعور بعدل رب العالمين.

قال سبحانه ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾﴾[2].

❋❋❋

(١) أخرجه أحمد (٣٧١٢)، وابن حبان (٩٧٢)، والطبراني (١٠/ ٢١٠) (١٠٣٥٢) باختلاف يسير.

(٢) سورة آل عمران: آية ١٤٠-١٤١.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً يرضاه والشكر له على نعماءه وإن كانت غير محصاه وسلم تسليماً كثيراً ..... أما بعد:

ولمعرفة اليقينية بسنن الله في هذه الكون تورث في المسلم ثماراً يانعة يحسها في الدنيا ويجد ثوابها يوم يلقى الله.

ومن هذه الثمار مايلي:

١-تحقيق العبودية لله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى.

٢- كما تثمر هذه المعرفة اليقينية في القلب ثباتاً ورباطة جأش وصبراً أمام الابتلاءات والمصائب.

٣- وتورث أيضاً في القلب شعوراً بالأنس والسعادة والطمأنينية والسكينة مهما اشتدت المصائب وتوالت المحن.

٤- ومن الثمرات محاسبة النفس وتفقد الإيمان والمبادرة بالتوبة إلى الله تعالى فما نزل بلاء إلا بذنب وما رفع إلا بتوبة.

٥- ومن الثمار عدم الاستعجال في المواقف والبعد عن التصرفات الهوجاء وكم تعجل أقوامٌ أمورهم فصارت وبالاً عليهم.

وهناك ثمارٌ أقرب للتأمل في سنن الله في هذا الكون يفتح الله بها على عباده المؤمنين الذين ينظرون بنور الله ويزنون الأمور بميزان الكتاب والسنة.

اللهم ارحمنا برحمتك التي وسعت كل شيء، اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وأعز أولياءك وانصر عبادك المتقين يا رب العالمين.

﴿ ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ (١) ﴾

الحمد لله الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له في كل مخلوق حكمة باهرة وآية ظاهرة وبرهان قاطع يدل على أنه رب كل شيء ومليكه وأنه على كل شيء قدير وبكل شيء عليم وأشهد أن محمداً عبده ورسوله هدى أمته هداية البيان والإرشاد وأما هداية التوفيق والإلهام فإلى الملك العلام صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فاتقوا الله عباد الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾(٢).

وقد ذكر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عن فرعون أنه قال ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ٤٩ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ٥٠﴾(٣)، أي أعطى كل شيء صورته التي لا يشتبه فيها بغيره وأعطى كل شيء شكله وهيئته وأعطى كل موجود خلقه المختص به ثم هداه إلى ما خلق له من الأعمال وهذه الهداية شاملة للحيوان كله ناطقه وبهيمه، طيره ودوابه، فصيحه وأعجميه، هداه لما يصلحه في معيشته ومطعمه ومشربه ومنكحه وتقلبه وتصرفه بإرادته وكذلك كل عضو له هداية تليق به فهدى الرجلين للمشي واليدين للبطش والعمل واللسان للكلام والأذن للاستماع والعين لكشف المرئيات وكل عضو لما خلق له وهدى الزوجين من كل حيوان إلى الازدواج والتناسل وتربية الأولاد وهدى الولد إلى إلتقام الثدي عند خروجه من

(١) سورة طه: آية ٤٩.
(٢) سورة آل عمران: آية ١٠٢.
(٣) سورة طه: آية ٤٩-٥٠.

بطن أمه وهداه إلى معرفة أمه دون غيرها ومراتب هدايته سبحانه لا يحصيها إلا هو سبحانه فتبارك الله رب العالمين.

ونستعرض بعض المخلوقات ونماذج من هداية الله تعالى لها، فانظر إلى النحل كيف هداه الله تعالى أن تتخذ من الجبال بيوتًا ومن الشجر ومن الأبنية ثم تسلك سبل ربها مذللة لها لا تستعص عليها ثم تأوي إلى بيوتها. وهداها إلى بناء تلك البيوت العجيبة الصنعة، المحكمة البناء.

ومن تأمل بعض هدايته المبثوثة في العالم شهد بأنه الله الذي لا اله إلا هو عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم، وانتقل من معرفة هذه الهداية إلى إثبات النبوة والمعاد وأن من هدى هذه الحيوانات هذه الهداية التي تعجز عقول العقلاء عنها لا يليق به أن يترك هذا النوع الإنساني الذي هو خلاصة الوجود - الذي كرمه وفضله عل كثير ممن خلقه تفضيلاً - مهملاً وسدى معطلاً لا يهديه إلى أقصى كمالاته وأفضل غاياته.

وتأمل هذا النمل فهو من أهدى الحيوانات وهدايتها من أعجب شيء فإن النملة الصغيرة تخرج من بيتها وتطلب قوتها وإن بعدت عليها الطريق فإذا ظفرت به حملته وساقته في طريق معوجة بعيده ذات صعود وهبوط في غاية من التوعر حتى تصل إلى بيوتها فتخزن فيها أقواتها في وقت الإمكان فإذا خزنتها عمدت إلى ما ينبت منها ففلقته فلقتين لئلا ينبت، ويكفي في هداية النمل ما حكاه الله سبحانه في القرآن عن النملة التي سمع سليمان كلامها وخطابها لأصحابها بقولها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨﴾[1]، فجمعت بين الاعتذار عن مضرة الجيش بكونهم لا يشعرون وبين لوم أمة النمل حيث لم يأخذوا حذرهم

(١) سورة النمل: آية ١٨.

ويدخلوا مساكنهم ولذلك تبسم سليمان ضاحكًا من قولها، والنملة تدرك بالشم من البعد ما يدركه غيرها بالبصر أو السمع فتبارك الله أحسن الخالقين.

وهذا الهدهد من أهدى الحيوانات وأبصره بمواضع الماء تحت الأرض لا يراه غيره ومن هدايته ما حكاه الله عنه في كتابه أنه قال لنبيه سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ وقد فقده وتوعده فلما جاء بدره بالعذر قبل أن ينذره سليمان بالعقوبة وخاطبه خطاباً هيجه على الإصغاء إليه والقبول منه ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾[1] ثم كشف عن حقيقة الخبر فقال ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾[2] إلى أخر القصة المدونة في القرآن في سورة النمل وهذا الحمام من أعجب الحيوان هداية حتى قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أعقل الطير الحمام وقد كان الحمام يحمل الرسائل والكتب في الأزمة السابقة وربما زادت قيمة الطير منها على قيمة العبد.

ومن عجائب أمر القرد ما ذكره البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه عن عمرو بن ميمون قال: «رأيت في الجاهلية قرداً وقردة زنيا فاجتمع عليهما القرود فرجموهما حتى ماتا فهؤلاء القرود أقاموا حد الله حين عطله بنو آدم».

والبقرة يضرب ببلادتها المثل وقد جاء في الحديث: «صَلَّى رَسولُ اللَّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، صَلاَةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ أَقْبَلَ علَى النَّاسِ، فَقالَ: بيْنَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقَرَةً إِذْ رَكِبَهَا فَضَرَبَهَا، فَقالَتْ: إِنَّا لَمْ نُخْلَقْ لِهذا، إِنَّما خُلِقْنَا لِلْحَرْثِ فَقالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللَّه بَقَرَةٌ تَكَلَّمُ، فَقالَ: فإِنِّي أُومِنُ بهذا، أَنَا وأَبُو بَكْرٍ، وعُمَرُ، - وما هُما ثَمَّ - وبيْنَما رَجُلٌ في غَنَمِهِ إِذْ عَدَا الذِّئْبُ، فَذَهَبَ منها بشَاةٍ، فَطَلَبَ حتَّى كَأَنَّهُ اسْتَنْقَذَهَا منه،

(١) سورة النمل: آية ٢٢.
(٢) النمل: ٢٣.

فَقالَ له الذِّئْبُ هذا: اسْتَنْقَذْتَهَا مِنِّي، فمَن لَهَا يَومَ السَّبُعِ، يَومَ لا رَاعِيَ لَهَا غيرِي فَقالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللَّهِ ذِئْبٌ يَتَكَلَّمُ، قالَ: فإنِّي أُومِنُ بهذا أنَا وأَبُو بَكْرٍ وعُمَرُ، - وما هُما ثَمَّ -»[1].

ومن هداية الحمار الذي ههو من أبلد الحيوانات أن الرجل يسير به ويأتي به إلى منزله من البعد في ليلى مظلمة فيعرف المنزل فإذا خُليَّ جاء إليه ويفرق بين الصوت الذي يستوقف به والصوت الذي يحث به على السير.

وهذا الثعلب إذا اشتد به الجوع انتفخ ورمى بنفسه في الصحراء كأنه جيفة فتتداوله الطير فلا يظهر حركة ولا نفساً فلا تشك أنه ميت حتى إذا نقر بمقاره وثب عليها فضمها ضمة الموت.

وغيرها كثير من الحيوانات وكثير من العقلاء يتعلم من الحيوان البهيم أموراً تنفعه في معاشه وأخلاقه وصناعته وحربه وحزمه وصبره.

فتفكروا في هداية هذه الحيوانات لما خلقت له واعرفوا عظمة باريها وتفهموا قوله سبحانه ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾[2] ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠﴾[3].

هذي عجائب طالما أخذت ... بها عيناك وانفتحت بها أذناكا
والله في كل العجائب ماثلُ ... إن لم تكون لتراه فهو يراكا

(١) صحيح البخاري (٣٤٧١).
(٢) سورة الأعلى: آية١-٣.
(٣) سورة طه: آية ٥٠.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي سبحت الكائنات بحمده وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً مزيداً ... أما بعد:

فيقول تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾[1].

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «يعرفونني ويوحدونني ويسبحونني ويحمدونني.

وقال ابن قتيبة: ﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ في طلب الغذاء وابتغاء الرزق وتوقي المهالك والله جعل بعض الدواب كسوباً محتالاً وبعضها متوكلاً غير محتال وبعض الحشرات يدخر لنفسه قوت سنة وبعضها يتكل على الثقة بأن له في كل يوم قدر كفايته رزقاً مضموناً، وبعض الذكور يعول ولده وبعضها لا يعرف ولده البته وبعض الإناث تكفل ولدها وبعضها لا يأكل إلا الطيب وبعضها لا يأكل إلا الخبيث فهي طبائع وأجناس ألوان وهذا كله من أول الدلائل على الخالق لها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وعلى إتقان صنعته وعجيب تدبيره ولطيف حكمته فإن ما فيها يستنطق الأفواه بالتسبيح له ويملأ القلوب ومعرفته ومعرفة حكمته وقدرته وما يعلم كل عاقل أنه لم يخلق عبثاً ولم يترك سدى.

اللهم ارزقنا شكر نعمتك وأعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

❋❋❋

(١) سورة الأنعام: آية ٣٨.

الاستعانة بالله

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ... أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[1] ﴿ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ٥﴾[2].

ولا يستطيع الإنسان العيش في هذه الحياة المليئة بالفتن والمحفوفة بالمكاره ولا يستطيع تحقيق العبودية لله تعالى على وجهها الصحيح ما لم يكن له معين قادر يلجأ إليه عند الشدائد ويهرع إليه عند الملمات يسدده ويوفقه ويحوطه ويرعاه ليقوم بذلك كله على الوجه المطلوب.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الْمُؤْمِنُ القَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إلى اللهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وفي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ علَى ما يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ باللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ، وإنْ أَصَابَكَ شيءٌ، فلا تَقُلْ لو أَنِّي فَعَلْتُ كانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَما شَاءَ فَعَلَ، فإنَّ لو تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**»[3]. ولقد بين الرسول المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث العظيم أن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ثم أرشد إلى الوسيلة العظيمة التي تجعل المؤمن قوياً

(١) سورة آل عمران: آية ١٠٢.
(٢) سورة الطلاق: آية ٥.
(٣) صحيح مسلم (٢٦٦٤).

أبيـًا بعيداً عن العجز والضعف ألا وهي الاستعانة بالله القوي العزيز واللجوء إليه في جميع الأمور.

قال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والمعنى احرص على طاعة الله والرغبة فيما عنده واطلب الإعانة من الله تعالى على ذلك ولا تعجز ولا تكسل عن طلب الطاعة ولا عن طلب الإعانة .

فالاستعانة بالله تعالى هي الاعتماد على الله في جلب المنافع ودفع المضار وطلب العون من الله في كل الأمور التي تلم بالإنسان مع الثقة به في تحيل ذلك. وتلك هي والله وسيلة السعادة الأبدية والنجاة من جميع الشرور في الدنيا والآخرة مع الراحة والطمأنينة وهدوء البال والسكينة.

قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «**يا غُلامُ إنِّي أعلِّمُكَ كلماتٍ ، احفَظِ اللَّهَ يحفَظْكَ، احفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تجاهَكَ، إذا سأَلتَ فاسأَلِ اللَّهَ، وإذا استعَنتَ فاستَعِن باللَّهِ، واعلَم أنَّ الأمَّةَ لو اجتَمعت علَى أن ينفَعوكَ بشَيءٍ لم يَنفعوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ لَكَ، وإن اجتَمَعوا على أن يضرُّوكَ بشَيءٍ لم يَضرُّوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ عليكَ، رُفِعَتِ الأقلامُ وجفَّتِ الصُّحفُ**»[1] .

والاستعانة بالله تعالى واللجوء إليه وإظهار الضعف والفقر والحاجة إليه والإنطراح بين يديه من أبرز مظاهر توحيد الله وعبادته الدالة على عظمة إيمان العبد بربه وصلاح قلبه وعظيم صلته بالله.

والاستعانة بالله تخليص للضمير من الاستدلال والضعف والعجز يواجه بها العبد الأخطار والصعاب ويتغلب بها على المصائب والأحداث، والاستعانة

(١) صحيح الترمذي (٢٥١٦).

بـالله تعالى تجمع أملين عظيمين من أصـول الدين هما: الثقة والاعتماد عليه فان التوكل نصف الإيمان والدين والصنف الآخر هو الإنابة والدين اسـتعانة وعبادة، والإنسـان محتـاج إلى الاسـتعانة بـالله في فعل المأمـورات وتـرك المحظورات والصبر على المقدرات علها في الدنيا وعند الموت وبعده. فمن حقق الاسـتعانة على الله أعانة الله ومن ترك الاستعانة بالله واستعان بغيره وكله الله إلى من استعان به فصار مخذولاً مهزومـًا.

كتب الحسـن البصري إلى عمر بن العزيز عليهما رحمة الله يقول «لا تستعن بغير الله فيكلك الله إليه».

وقـال موسـى صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لقومـه: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾[1] وبهذا كان مـن أفضل ما يسـأل الرب سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ الإعانة على مرضاتـه وهو الذي علم النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ للصحابـي الجليـل معاذ بن جبـل رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**يا مُعاذُ، واللَّهِ إنِّي لأحبُّكَ، واللَّهِ إنِّي لأحبُّك، فقالَ: أوصيكَ يا معاذُ لا تدَعنَّ في دُبُرَ كلِّ صلاةٍ تقولُ: اللَّهمَّ أعنِّي على ذِكْرِكَ، وشُكْرِكَ، وحُسنِ عبادتِكَ**»[2].

ولقد كان رسـولنا المصطفى صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من أشـد الناس تعلقـًا بربه جَلَّوَعَلَا يلجأ إليه سـبحانه ويسـتعين بـه في جميع أحواله قال أنـس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كان النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إذا غزا قال: «**اللَّهمَّ أنتَ عَضُدي، وأنتَ نَصيري وبِكَ أقاتلُ**»[3].

(١) سورة الأعراف: آية ١٢٨.
(٢) صحيح أبي داود (١٥٢٢).
(٣) أخرجه أبو داود (٢٦٣٢)، والترمذي (٣٥٨٤) واللفظ له، والنسائي في (السنن الكبرى) (٨٦٣٠)، وأحمد (١٢٩٠٩).

وكان من دعائه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ لكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الحَيُّ الذي لا يَمُوتُ، وَالْجِنُّ وَالإِنْسُ يَمُوتُونَ»[1].

إن تحقيق الاستعانة بالله على وجهها المشروع عنوان السعادة ودليل الفلاح ورأس الخير وإن المسلمين جميعاً يرددون في صلاتهم قول الله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾[2] في جميع صلواتهم ولكن القليل منهم من يعقل في الاستعانة بالله ويدرك أنها من أعظم العبادات التي يجب إخلاصها لله رب العالمين ولا يعني هذا عدم الاستعانة بالعباد فيما يقدرون عليه فإن الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه. والعجيب أن ينزل بعض الناس حوائجه ومطالبة بالناس ويترك رب الناس.

فاتقوا الله أيها المسلمون وإياه فاعبدوا وإياه فاستعينوا ثم توبوا إليه واستغفروه إنه كان للأوابين غفوراً.

❊❊❊

(١) صحيح مسلم (٢٧١٧).
(٢) سورة الفاتحة: آية ٥.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله. أما بعد:

فاتقوا الله تعالى واشكروه وأطيعوه وراقبوه. ثم اعلموا رحمكم الله أن الاستعانة بالله من أهم صفات المؤمنين بها يحقق العبد العبودية الحقة لله ويظفر بحاجاته ويستدفع البلاء والمصائب وتحقيقاً لهذه الصفة العظيمة فقد شرع لمصطفى صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الاستخارة للمسلم في جميع أموره المستحبة أو المسنونة المتعلقة بحياته ومعيشته ومعاملاته مع أهله ومع الناس.

والاستخارة هي طلب خير الأمرين لمن احتاج إلى أحدهما ولقد قيل ما خاب من استخار ولا ندم من استشار واستخارة المسلم لربه إذا هم بأمر ونحوه دليل على تعلق قلبه بالله عَزَّوَجَلَّ في جميع أحواله وفي الاستخارة امتثال لسنة المصطفى صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وقد كان صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يعلمها الصحابة كما يعلمهم السورة من القرآن وإن أمراً بلغ بالنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن يعلمه أصحابه كما يعلمهم السورة من القرآن لهو أمر شريف وعظيم ومبارك يجب على كل مسلم أن يحرص عليه ويتعلمه ويطبقه في حياته كلها طلباً لمرضاة الله تعالى وتحصيلاً لسنة المصطفى صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

❋❋❋

الصبر على أقدار الله

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً .. أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝١﴾[1].

ذكر الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في كتاب التوحيد باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله تعالى.

إني رأيت وفي الأيام تجربة ... للصبر عاقبة محمودة الأثر

وكل من جد في أمر يحاوله ... واستعجب الصبر إلا فاز بالظفر

فإن العبد لا يستغني عن الصبر في كل حال من الأحوال وذلك أن جميع ما يلقى العبد في الدنيا لا يخلو من حالين:

* **الأول:** النعم التي أسبغها الله على عبده ظاهراً وباطناً فهو محتاج إلى الصبر عليها فلا يركن إليها ولا ينهمك فيها ويراعي الحقوق فيعطي كل ذي حق حقه.

(١) سورة الحج: آية ١.

* **الثاني:** المصائب التي تحيق بالعبد فتأخذ الأحبة وتهلك الأحوال فهو محتاج إلى الصبر فيها فلا يجزع ولا يسخط.

وهكذا يكون الصبر ضرورة بشرية وفريضة شرعية تلازم الإنسان في جميع أحواله وتقلباته.

ولذا كان لزاماً بيان هذا المقام الأعلى والمقصد الأسمى فالصبر هو حبس النفس على طاعة الله وكف النفس عن المعاصي والرضا بقضاء الله وقدره دون شكوى فيه ولا معه.

والصبر من الواجبات ويدل على ذلك الكتاب والسنة وقد ذكر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الصبر في كتابه العزيز في بضع وتسعين موطناً لأنواع عديدة تدل على وجوبه فقد أمر به سبحانه ونهى عن ضده وأمر بالاستعانة به وأثنى على أهله وأوجب محبته لهم ومعية لهم وأطلق البشرى لأهل الصبر.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾[1] ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾[2] وقال سبحانه ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾[3].

ويقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَجَبًا لأَمْرِ المُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وليسَ ذاكَ لأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أصابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكانَ خَيْرًا له، وإِنْ أصابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكانَ خَيْرًا له»[4].

(١) سورة آل عمران: آية ١٤٦.
(٢) سورة النحل: آية ٩٦.
(٣) سورة الزمر: آية ١٠.
(٤) صحيح مسلم (٢٩٩٩).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مدارج السالكين عن الصبر: وهو واجب بإجماع الأمة.

والصبر ثلاثة أقسام:

* **الأول:** الصبر على طاعة الله كما قال سبحانه ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[1].

* **والثاني:** الصبر عن معصية الله كصبر يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عن إجابة امرأة العزيز حيث دعته إلى نفسها في مكانة لها فيها العزة والقوة والسلطان عليه ومع ذلك صبر ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾[2].

* **والثالث:** الصبر على أقدار الله كما قال تعالى ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾[3].

وكان الصبر على الطاعة أولى وأفضل لأنه يتضمن إلزاماً وفعلاً فتلزم نفسك الصلاة فتصلي والصوم فتصوم والحج فتحج ففيه إلزام وفعل وحركة فيها نوع من المشقة والتعب.

وذكر العلامة الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الباب الذي ذكرته لكم حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**اثْنَتانِ في النَّاسِ هُما بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ في النَّسَبِ والنِّياحَةُ علَى المَيِّتِ**»[4].

* **الطعن في النسب:** أي العيب فيه أو نفيه فهذا عمل من أعمال الكفر.

(١) سورة طه: آية ١٣٢.
(٢) سورة يوسف: آية ٣٣.
(٣) سورة القلم: آية ٤٨.
(٤) أخرجه مسلم (٦٧).

* **النياحة على الميت:** أي البكاء عليه من باب التضجر وعدم الصبر وهذا مناف للصبر الواجب.

۞ والناس في حال المصيبة على مراتب أربع:

* **المرتبة الأولى:** التسخط وهو إما بالقلب أو اللسان أو الجوارح.
* **المرتبة الثانية:** الصبر فيرى الإنسان أن هذا الشيء ثقيل عليه ويكرهه ولكنه يتحمله ويتصبر. كما قال الشاعر:

الصبر مثل اسمه مرّ مذاقه ولكن عواقبه أحلى من العسل

* **المرتبة الثالثة:** الرضا وهو أعلى من الصبر.
* **المرتبة الرابعة:** الشكر وهو أعلى المرتب وذلك أن يشكر الله على ما أصابه من مصيبة.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا أرادَ اللَّهُ بعبدِه الخيرَ عجَّلَ لَه العقوبةَ في الدُّنيا ، وإذَا أرادَ اللَّهُ بعبدِه الشَّرَّ أمسَك عنهُ بذنبِه حتَّى يوافيَ بِه يومَ القيامة»[1].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: مراتب الصابرين خمسة: صابر ومصطبر ومتصبر وصبور وصبار، فالصابر أعمها والمصطبر المكتسب الصبر المليء به والمتصبر المتكلف حامل نفسه عليه.

والصبور العظيم الصبر الذي صبره أشد من صبر غيره والصابر الكثير الصبر.

والشكوى إلى الله عَزَّوَجَلَّ لا تنافي الصبر فإن يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ وعد بالصبر

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٩٦) واللفظ له، والبيهقي في (الأسماء والصفات) (٣١٦)، والبغوي في (شرح السنة) (١٤٣٥) باختلاف يسير.

الجميل والنبي إذا وعد لا يخلف ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[1] وكذلك أيوب أخبر الله عنه ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣﴾[2].

وإنما ينافي الصبر شكوى الله لا الشكوى إلى الله كما رأى بعضهم رجلاً يشكو إلى آخر فاقة وضرورة فقال يا هذا تشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك ثم أنشد:

وإذا عرتك بلية فاصبر لها ... صبر الكريم فإنه بك أعلم

وإذا شكوت إلى ابن آدم إنما ... تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم

وكم نحن بحاجة إلى التفقه بهذه المسألة حيث شكوى الله من كثير من العباد إلى أمثالهم ممن لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يشكون إلى الله مفرج الكربات ومزيل الشدائد والمعضلات.

فمتى أصابك أيها العبد مكروهاً في بدنك أو مالك أو حبيبك فاعلم أن الذي قدره حكيم عليم لا يفعل شيئاً عبثاً ولا يقدر شيئاً سدى وقد تنوعت رحمته على عبده يرحمه فيعطيه ثم يرحمه فيوفقه للشكر ويرحمه فيبتليه ثم يرحمه فيوفقه للصبر فرحمة الله متقدمة ومتأخرة.

اللهم اجعلنا من الصابرين الشاكرين الذاكرين، اللهم اجعلنا ممن إذا ابتلي صبر وإذا أعطي شكر وإذا أذنب استغفر.

❋❋❋

(١) سورة يوسف: آية ٨٦.

(٢) سورة الأنبياء: آية ٨٣.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً كما يحب ربنا ويرضى وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ. أما بعد:

فلنقف مع أروع الأمثلة للصبر على البلاء تلك القصة البطولية الفريدة ومن بطولات الصبر قدمها والد وولد في امتحان رباني عجيب لهما، هما النبيان الرسولان الصابران إسماعيل وأبوه إبراهيم عليهما الصلاة والسلام. فيكلف الله إبراهيم في رؤيا منامية أن يذبح ولده إسماعيل فيتجه بصبر عجيب لطاعة أمر ربه فيقول لابنه إسماعيل ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ﴾[1] أي أمرني ربي بذبحك في رؤيا منامية ورؤيا الأنبياء حق تثبت بها الأحكام التكليفية فيقول الابن المطيع لربه ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾[2] وأسلما أمرهما إلى الله صابرين وشرعا في تنفيذ التكليف ذابح ومذبوح فلما علم الله طاعتهما وصدق إسلامهما وتسليمهما أنزل لهما كبش الفداء وتوقف أمر ذبح الوالد لولده، وفي عرض القرآن لهذه القصة إشادة بفضيلة خلق الصبر مهما كان قاسياً ومكروهاً لدى النفس وتوجيه لإعداد الأنفس للصبر على المكاره والمصائب المرتقبة والإقدام عليها بشجاعة وبطوله.

فالصابر الشاكر هو الكامل في جميع أحواله فإن الصبر آلة عظيمة تعين العبد

(١) سورة الصافات: آية ١٠٢.

(٢) سورة الصافات: آية ١٠٢.

على جميع الأمور الصعبة وقد قال سبحانه ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾[1].

وما نال من نال من خير الدنيا والآخرة إلا بالصبر ولا حرم من حرم إلا بفقده قال تعالى ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾[2].

اللهم ارزقنا الصبر على طاعتك والصبر عن معصيتك والصبر على أقدارك يا رب العالمين.

❊❊❊

(١) سورة البقرة: آية ٤٥.

(٢) سورة الرعد: آية ٢٣-٢٤.

الإنذار من القهار

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ... أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾[1].

إن المتأمل ببصيرة يرى في هذه الأيام والشهور مزيداً من آيات الله ونذره تعم الأرض وتهلك من تهلك من البشر والشجر والحيوان تهد العوامر وتعصف بالحياة والأحياء وتحيل المدن الكبرى إلى ركام وأنقاض لا يستوقفها سد منيع ولا تحيط بها قوى أو تستطيع أن تمنعها منظمة أو هيئة، فهناك زلازل مدمرة وأعاصير مهلكة وفيضانات مفسدة وانهيارات مروعة، جفاف وجدب، خسوف وكسوف، سيول وكوارث، جوع وأمراض، وقتل وتشريد، ولا ندري ما بغيب الله تعالى في المستقبل نسأل الله السلامة والعافية ولكن الأمر الواقع خطير ومنذر لأولي الأبصار.

والمطالع لما ينشر في وسائل الإعلام من عناوين مثيرة يروع الأمر حقيقة وإليكم بعض النماذج مما نشر خلال الفترة الماضية، زلزالان يضربان تركيا ويثيران الرعب فيها وزلزال قوي يهز شمال إيران وإيطاليا تعلن حالة الطوارئ في مناطق الفيضانات.

(١) سورة البقرة: آية ٢٨١.

وفي فنزويلا الشوارع اختفت تحت ركام الأوحال فخمسة آلاف قتيل وعشرون ألف مصاب والهند ترحب المساعدة الدولية للتغلب على آثار الإعصار المدمر.

وفي فيتنام إضافة إلى تهديد سبعة ملايين شخص بالجوع والمرض والفيضانات تقتل خمس مئة شخص وتنزل خسائر بنحو أربعة وأربعين مليون دولار.

والمكسيك ارتفاع عدد قتلى الزلازل وفيضانات قوية تجتاح شمال إيران إلى غير ذلك من أحداث دامية ونذر الهيئة تمتد في شرق الأرض وغربها وشمالها وجنوبها، فماذا تعني هذه النذر وما سبل الخلاص من العقوبات والبلايا والمحن والرزايا؟.

لقد عم الفساد وكثر المفسدون على وجه الأرض وصدق الله تعالى ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٠٣﴾[1].

وقال سبحانه ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٤١﴾[2].

ولقد أنعم الله على عباده ففجر لهم كنوز الأرض وفتح لهم أبواب السماء فاتخذوا من نعم الله وسائل للكفر والتمرد على شرعه -إلا من رحم الله -وانتشر الظلم والفساد وكثر القتل والتشريد وأصبحت لغة القوة هي لغة التخاطب وبها يأكل القوي الضعيف وربك يرى ويسمع ويمهل ولا يهمل ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ١١٧﴾[3] وقال سبحانه ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةم بَطِرَتۡ مَعِيشَتَهَاۖ فَتِلۡكَ مَسَٰكِنُهُمۡ لَمۡ تُسۡكَن مِّنۢ بَعۡدِهِمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ وَكُنَّا نَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٥٨﴾[4].

(١) سورة يوسف: آية ١٠٣.
(٢) الروم: ٤١.
(٣) سورة هود: آية ١١٧.
(٤) سورة القصص: آية ٥٨.

ويختلف أهل الأيمان عن أهل الكفر والفسوق والظلم والعدوان في نظرتهم لهذه الكوارث والأحداث الكونية فأهل الأيمان لهم نظرة وميزان أخرى فالآيات تخوفهم ويربطون بينها وبين كثرة المعاصي والذنوب وفي كتاب ربهم ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾[1].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومن المعلوم بما أرانا الله من آياته في الآفاق وفي أنفسنا وبما شهد به في كتابه أن المعاصي سبب المصائب وأن الطاعة سبب النعمة.

ويقول العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومن عقوبات المعاصي أنها تزيل النعم وتحل النقم.

والمخيف في الأمر أن العقوبة إذا حلت شملت الجميع إلا من رحم ربك وفي التنزيل ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢٥﴾[2].

وفي صحيح البخاري باب إذا أنزل الله بقوم عذابًا قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا أنْزَلَ اللَّهُ بقَوْمٍ عَذابًا، أصابَ العَذابُ مَن كانَ فيهم، ثُمَّ بُعِثُوا علَى أعْمالِهِمْ»[3].

قال العلامة ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وفي الحديث تحذيرٌ وتخويف عظيم لمن سكت عن النهي فكيف بمن داهن فكيف بمن رضي فكيف بمن عاون نسأل الله السلامة.

وإذا كان السكوت على المنكر سببًا للهلاك فلا شك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سببٌ للنجاة قال سبحانه ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ

(١) سورة الشورى: آية ٣٠.
(٢) الأنفال: ٢٥.
(٣) أخرجه البخاري (٧١٠٨) واللفظ له، ومسلم (٢٨٧٩).

يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾[1].

يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «والَّذي نَفسي بيدِه لتأمُرُنَّ بالمعروفِ ولتَنهوُنَّ عن المنكرِ أو ليوشِكَنَّ اللَّهُ أن يبعثَ عليكُم عقابًا منهُ ثمَّ تَدعونَهُ فلا يَستجيبُ لَكُم»[2].

قال بعض أهل العلم: وأي دين وأي خير فيمن يرى محارم الله تنتهك وحدوده تضاع ودينه يترك وسنة رسوله يُرغب عنها وهو باردُ القلب ساكت اللسان شيطان أخرس كما أن المتكلم بالباطل شيطانٌ ناطق، وهل بلية الدين إلا من هؤلاء الذين إذا سلمت لهم مآكلهم ورياستهم فلا مبالاة بما جرى على الدين.

ويختلف كذلك أهل الإيمان عن أهل الكفر عند حلول النكبات والبليات فأهل الكفر يصيبهم من الهلع والجزع والذعر واليأس.

أما أهل الإيمان فهم وإن خافوا وفزعوا فهو خوف وفزع إلى الله تعالى وفرارٌ إلى الله منه، يهديهم ذلك الخوف إلى مزيد من الإيمان به والخوف من بأسه وعقوبته ويدعوهم ذلك إلى مزيد من الطاعة والإيمان والدعوة إلى دينه فهم يخشون الله ويتضرعون إلى الله ويلجؤون إليه سبحانه بالدعاء والتضرع ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[3] وقال سبحانه ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾[4].

اللهم أنقذنا من دركات الغفلة وارحمنا يوم النقلة وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة يا رب العالمين.

(١) سورة الأعراف: آية ١٦٥.
(٢) صحيح الترمذي (٢١٦٩) حسن.
(٣) سورة الأنعام: آية ٤٣..
(٤) سورة الأنفال: آية ٣٣.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً يرضاه والشكر له على نعماه وصلى الله وسلم على نبيه ومصطفاه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .. أما بعد:

فأحدثوا لله توبة كلما أحدثتم وارتكبتم معصية وعظموا أمر الله واستشعروا شدة عقابه واعلموا أنه ليس القصد من النجاة حين الكروب نجاة الأبدان فحسب أو طلب النجاة في الدنيا فقط، بل أهم من ذلك صلاح القلوب والنجاة من عذاب الله يوم الفزع الأكبر.

وإن الاهتمام بنجاة الأبدان فقط سمةُ قوم قال الله عنهم ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾[1].

ذكر ابن كثير عن قتادة رَحِمَهُمَاٱللَّهُ قال: ذكر لنا أن الكوفة رجفت على عهد ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فقال: أيها الناس إن ربكم يستعتبكم فأعتبوه أي طلب منكم العتبى وهو الرجوع إلى ما يرضيه.

فاحذروا من الغفلة وليحاسب كل واحد منا نفسه قبل أن يحاسب ولا تنظر عبد الله إلى الهالك كيف هلك ولكن انظر إلى الناجي كيف نجا.

وتأمل في مطعمك ومشربك وانظر ماذا ترى وماذا تسمع فمثل ذلك أنت محاسب عليه. ولقد جاءتك من ربك النذر ومن تذكر فإنما يتذكر لنفسه ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾[2].

(١) سورة البقرة: آية ٩٦.

(٢) سورة يس: آية ٧٠.

لا اله إلا الله

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .. أما بعد:

فاتقوا الله تعالى حق التقوى واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى فإن أجسامكم على النار لا تقوى وجددوا إيمانكم في المساء والصباح بتأمل وتطبيق معنى لا اله إلا الله فهي كلمة الإسلام ومفتاح دار السلام ومن أجلها أرسلت الرسل إلى العباد ليعلمون العمل بلا اله إلا الله وهي الكلمة التي ورثها إمام الحنفاء لأتباعه إلى يوم القيامة وهي الكلمة التي قامت بها الأرض والسموات وفطر الله عليها جميع المخلوقات وعليها أسست الملة ونصبت القبلة وجردت سيوف الجهاد وهي محض حق الله على العباد وهي الكلمة العاصمة للدم والمال والذرية في هذه الدار والمنجية من عذاب القبر وعذاب النار وبها انقسم الناس إلى شقي وسعيد ومقبول وطريد يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ**»(١).

إن روح هذه الكلمة وسرها أفراد الله تعالى بالمحبة والتعظيم والخوف في الرجا وتوابع ذلك من التوكل والإنابة والغربة والرهبة فلا يحب سواه المحجة المقتضية الملك والخضوع. بل كل ما يجب فإنما تجمع لمحبته ورسلة إلى

(١) صحيح البخاري (٥٤٠١).

محبته ولا يخاف سواه ولا يتوكل إلا عليه ولا ينذر إلا له ولا يتاب إلا إليه ولا يطاع إلا أمره ولا يركع إلا له ولا يستعان في الشدائد إلا به وغيره لكل مبدأ من العبادات ويجتمع ذلك في عبارة واحدة وهي ألا يعبد جميع أنواع العبادة إلا هو سبحانه فلا معبود بحق إلا الله.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الإله هو المعبود المطاع فإن الإله هو المألوه والمألوه هو الذي يستحق أن يعبد وهو الذي تألهه القلوب بحبها ولهذا كانت لا اله إلا الله أصدق الكلام وكان أهلها أهل الله وحزبه والمنكرون لها أعداءه وأهل غضبه ونقمته فإذا صحت صح بها كل مسألة وحالٍ وذوق وإذا لم يصحها العبد فالفساد لازم له في علومه وأعماله أ. هـ كلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وفي الحديث العظيم الذي رواه الحاكم وصححه أن رسول الله قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قال موسى : يا ربِّ علِّمْني شيئًا أذكُرُك به وأدعوك به قال : قُلْ يا موسى : لا إلهَ إلَّا اللهُ قال : يا ربِّ : كلُّ عبادِك يقولُ هذا قال : قُلْ : لا إلهَ إلَّا اللهُ قال : إنَّما أُريدُ شيئًا تخُصُّني به قال : يا موسى لو أنَّ أهلَ السَّمواتِ السَّبعِ والأرَضينَ السَّبعِ في كِفَّةٍ ولا إلهَ إلَّا اللهُ في كِفَّةٍ مالَتْ بهم لا إلهَ إلَّا اللهُ**»[1].

فلا إله إلا الله أفضل الذكر وهي الكلمة التي غفل عنها كثير من الناس وحاجتهم إلى لا اله إلا الله عظيمة وهي أكثر الأذكار وجودا وأيسرها حصولا وأعظمها ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

واعلموا أن لا إله إلا الله لا تنفع قائلها إلا بعد معرفة معناها والعمل بمقتضاها والسلامة مما يناقضها فلا بد في شهادة لا إله إلا الله من اعتقاد بالجنان ونطق

(١) صحيح ابن حبان (٦٢١٨) أخرجه في صحيحه.

باللسان وعمل بالأركان فإن اختل واحد من هذه الثلاثة لم يكن الرجل مسلماً.

قيل للحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن ناساً يقولون: من قال لا إله إلا الله دخل الجنة فقال: من قالها وأدى حقها وفرضها دخل الجنة.

وقال وهب بن منبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ لمن قال له أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله؟ قال: بلى ولكن ما من مفتاح إلا وله أسنان فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح لك.

فهل يكفي قولها باللسان وهو كافر بقلبه ولم يعتقدها ولم يعمل بمقتضاها وهكذا من قالها من اليهود والنصارى وعباد الأوثان وأهل النفاق فكلهم لا تنفعهم حتى يؤمنوا بمعناها ويعملوا بمقتضاها.

ولهذا استنكر كفار مكة ما يدعوا إليه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قوله، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، فقالوا ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾[1] وذلك لما اعتادوا من عبادة الأصنام والأوثان والأشجار والأحجار.

وقال الله عنهم أيضاً ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ۝٣٦﴾[2].

وليحذر المسلم من نواقض الإسلام العشرة المعروفة ومن نواقض لا إله إلا الله، ويخاف على المسلم أن يأتي بسيئة راجحة فيضعف إيمانه فلا يقولها بها خلاص ويقين مانع من جميع السيئات ويخش عين من الشرك الأكبر والأصغر فان سلم من الأكبر بقي معه من الأصغر فيضيف إلى ذلك سيئات فتنظم إلى هذا

(١) سورة ص: آية ٥.

(٢) سورة الصافات: آية ٣٥-٣٦.

الشـرك فيرجعُ جانب السـيئات فإن السـيئات تضعف الإيمان واليقين، فيضعف قول لا اله إلا الله فيصير المتكلم بها كالهاذي أو النائم يقولها بلا طعم ولا حلاوة فإذا كثرت الذنوب ثقل على اللسـان قولها وكره العمل الصالح وثقل عليه سماع القرآن واستبشـر بذكر غيره واطمأن إلـى الباطل ومخالفة أهله وكره مخالفة أهل الحق فمثل هذا يقولها بلسانه دون قلبه وعمله.

قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني ولكن ما وقر في القلـب وصدقته الأعمال فمن قال خيرا قُبل منه ومن قال خيراً وعمل شـراً لم يقبل منه.

والـذي يدخل النـار ممن يقولها، وإما إنهـم لم يقولوها بالصـدق واليقين التام المنافيين للسيئات أو لرجحان السيئات أو قالوها واكتسبوا بعد ذلك سيئة أو سيئات رجحـت على حسـناتهم ومع ذلك فقـد تواترت الأحاديث بأنه يخـرج من النار من قـال لا إلـه إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شـعيرة وما يزن خردلة وما يزن ذرة وتواترت الأحاديث بأن الله حرم على النار أن تأكل أثر السجود من ابن آدم.

فاحرص أيها المسلم أن تكون ممن يشهد أن لا إله إلا الله حقيقة الشهادة.

اللهـم اجعلنا ممن يقولها دائمـاً وأبداً واختم بهـا آجالنا واجعلها آخر كلامنا من الدنيا يارب العالمين.

❊❊❊

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً يرضاه والشكر له على نعماه وإن كانت غير محصاه وسلم تسليماً مزيداً .. أما بعد:

وفي الحديث «أَنَّ النبيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ومُعاذٌ رَدِيفُهُ على الرَّحْلِ، قَالَ: يا مُعَاذَ بنَ جَبَلٍ، قَالَ: لَبَّيْكَ يا رَسولَ اللَّهِ وسَعْدَيْكَ، قَالَ: يا مُعَاذُ، قَالَ: لَبَّيْكَ يا رَسولَ اللَّهِ وسَعْدَيْكَ ثَلَاثًا، قَالَ: ما مِن أحَدٍ يَشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وأنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللَّهِ، صِدْقًا مِن قَلْبِهِ، إلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ علَى النَّارِ، قَالَ يا رَسولَ اللَّهِ: أفَلا أُخْبِرُ به النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا؟ قَالَ: إذًا يَتَّكِلُوا وأَخْبَرَ بهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا»[1].

ولا تنس أخي المسلم شروط هذه الكلمة العظيمة التي هي العلم واليقين والإخلاص والصدق والمحبة والانقياد والقبول وزاد بعضهم شرطاً ثامناً وهو الكفر بالطاغوت.

وأختم بحديث النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «يُصَاحُ برجلٍ من أُمَّتِي يومَ القيامةِ على رُؤُوسِ الخلائقِ، فيُنْشَرُ له تِسْعَةٌ وتِسْعُونَ سِجِلًّا، كلُّ سِجِلٍّ مَدُّ البصرِ، ثم يقولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: هل تُنْكِرُ من هذا شيئًا؟ فيقولُ: لا يا ربِّ، فيقولُ: أَظَلَمَك كَتَبَتِي الحافِظُونَ؟ فيقولُ: لا يا ربِّ، ثم يقولُ: أَلَكَ عُذْرٌ، أَلَكَ حسنةٌ؟ فيَهَابُ الرجلُ فيقولُ: لا، فيقولُ: بلى، إنَّ لك عندنا حسنةً، وإنه لا ظُلْمَ عليكَ اليومَ، فتُخْرَجُ له بطاقةٌ فيها أشهدُ أن لا إله إلا اللهُ، وأنَّ مُحَمَّدًا عبدُه ورسولُه، فيقولُ: يا ربِّ ما هذه البطاقةُ مع هذه السِّجِلَّاتِ؟ فيقولُ: إنك لا تُظْلَمُ، فتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ في كِفَّةٍ،

(١) صحيح البخاري (١٢٨).

والبطاقةُ في كِفَّةٍ، فطاشتِ السِّجِلَّاتُ، وثَقُلَتِ البطاقةُ»[1].

اللهم اجعلنا ممن يقولها في السر والعلانية والرخاء والشدة، اللهم ونعوذ بك من الشرك والإلحاد ونسألك الاستقامة على التوحيد والطاعة والسداد.

❊❊❊

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٣٠٠)، وأحمد (٦٩٩٤) باختلاف يسير.

عظمة الله

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين، الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليماً كثيراً ... أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[1].

قال الله تعالى ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ١٨ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ١٩ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ٢٠﴾[2] فمن الذي خلق الإبل ومن الذي رفع السماء ومن الذي نصب الجبال ومن الذي سطح الأرض إنه الله تعالى، فمن هو الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ﴾[3] سأل فرعون عدو الله موسى عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عن الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فرد عليه موسى ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ٥٠﴾[4] وكان السلف الصالح يعرفون من قوله تعالى ﴿فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٍ ٥﴾[5] أن الأرض تخضر وتثمر وتزهر إذا نزل عليها الماء ثم تقدم العلم الحديث واكتشف ذلك ولكن الله قرر ذلك قبل أربعة عشر قرناً من الزمان فسبحان الله العظيم وهذا من بديع صنع الله تعالى.

---

(١) سورة آل عمران: آية ١٠٢.
(٢) سورة الغاشية: آية ١٧-٢٠.
(٣) سورة فصلت: آية ٥٣.
(٤) سورة طه: آية ٥٠.
(٥) سورة الحج: آية ٥.

تلك الطبيعة قف بنا يا ساري ... حتى أريك بديع صنع الباري
الأرض حولك والسماء اهتزتا ... لروائع الآيات والآثار
ولقد تمر على الغدير تخاله ... والنبت مرآة زهت بإطار
حلو التسلسل موجه وخريرة ... كأنامل مرت على أوتار
ينساب في مخضلة مبتلة ... مسوجة من سندس ونضار
وترى السماء ضحى وفي جنح الدجى ... منشقة عن أنهر وبحار
في كل ناحية سلكت ومذهب ... جبلان من صخر وماء جار
سبحان من خلق الوجود مصوراً ... تلك الدمى ومقدر الأقدار

يقول سبحانه ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ٤٧﴾[1] يقول العلماء: إن الله أوسع الكون وجعله فسيحًا بصحاريه وفيافيه وبحاره ومحيطاته ثم تطور علم الإنسان إلى أن وصل إلى قضية عجيبة وهي أن الكون يتسع كل يوم كما يتسع البالون إذا مليء بالهواء تمامًا فيوسع الله الكون فهذه قدرته وسلطانه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ يقوم في وسط الليل ليصلي ثم ينظر إلى السماء ويقول ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾[2].

وعرف السلف رضوان الله عليهم أجمعين قوله تعالى ﴿۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ٧٥﴾[3] فقالوا إن ذلك إشارة إلى أماكنها وتطور الإعجاز العلمي

(١) سورة الذاريات: آية ٤٧.
(٢) سورة آل عمران: آية ١٩٠-١٩١.
(٣) سورة الواقعة: آية ٧٥.

فاكتشف علماء الفلك أن هناك نجوماً ذهبت من أماكنها أرسلها الله سرعتها كسرعة الضوء أو أكثر ولم ترتطم بالأرض إلى اليوم وبقيت مواقعها هناك فقال سبحانه ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ ﴾ ولم يقل فلا أقسم بالنجوم تعظيماً لمواقعها.

فواعجبا كيف يعصى الإله أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد
ولله في كل تحريكة وتسكينة في الورى شاهد

إنها معالم الوحدانية ودلائل الإلوهية وآيات الربوبية فمن الخالق ومن المصور؟ ومن المبدع؟ إنه الله جَلَّجَلَالُهُ.

خلق الله النملة تذهب لرزقها في الصباح وتأتي في المساء وتعلم بقدوم فصل الشتاء حيث الأمطار والبرد فتدخر قوتها من الصيف في مخازن تحت الأرض حتى إذا جاء فصل الشتاء كان عندها ما تعيش عليه فلا تخرج من بيتها وإذا خافت أن تنبت الحبة التي خزنتها تحت الأرض قسمتها نصفين لئلا تنبت، فمن علمها؟ ومن بصرها؟ ومن دلها؟ إنه الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

وإن قضية الخلق والهداية لهي من أهم القضايا التي عالجها الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام وتقدم العلم وتطورت الأبحاث وكلما تطور العلم كلما اهتدى الإنسان وعلم أن لهذا الكون إلهاً واحداً لا إله إلا هو، سبحانه عما يشركون.

❋❋❋

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً يرضاه والشكر له على نعماه وإن كانت غير محصاة والصلاة والسلام على البشير النذير والسراج المنير والمعلم النحرير وعلى آله وصحبه والتابعين .....أما بعد:

فإن قدرة الله تعالى تتحقق بكلمة واحدة «كن» ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾[1] وقد أخبر سبحانه أنه في كتابه الكريم سوف ينطق أعضاء الإنسان لتشهد عليه بما عمل في الحياة الدنيا لأنها جند من جنوده سبحانه ﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٤﴾[2] يوم يقول الكافر لجلده كيف تتكلم فيقول ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢١﴾[3].

وفي السنة الصحيحة أحاديث كثيرة أظهر الله فيها قدرته على ألسنة بعض الحيوانات حيث تكلمت بألسنة عربية فصيحة أنطقها الواحد الأحد ليبين أنه على كل شيء قدير.

قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «إِنِّي لأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ إِنِّي لأَعْرِفُهُ الآنَ»[4].

وفي الحديث أن الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ،

(١) سورة يس: آية ٨٢.
(٢) سورة النور: آية ٢٤.
(٣) سورة فصلت: آية ٢١.
(٤) صحيح مسلم (٢٢٧٧).

صَلَاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ أَقْبَلَ علَى النَّاسِ، فَقالَ: بيْنَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقَرَةً إِذْ رَكِبَهَا فَضَرَبَهَا، فَقالَتْ: إِنَّا لَمْ نُخْلَقْ لِهذا، إِنَّما خُلِقْنَا لِلْحَرْثِ فَقالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللَّهِ بَقَرَةٌ تَكَلَّمُ، فَقالَ: فإِنِّي أُومِنُ بهذا، أَنَا وأَبُو بَكْرٍ، وعُمَرُ، - وما هُما ثَمَّ - وبيْنَما رَجُلٌ في غَنَمِهِ إِذْ عَدَا الذِّئْبُ، فَذَهَبَ منها بشَاةٍ، فَطَلَبَ حتَّى كَأَنَّهُ اسْتَنْقَذَهَا منه، فَقالَ له الذِّئْبُ هذا: اسْتَنْقَذْتَهَا مِنِّي، فمَن لَهَا يَومَ السَّبُعِ، يَومَ لا رَاعِيَ لَهَا غيرِي فَقالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللَّهِ ذِئْبٌ يَتَكَلَّمُ، قالَ: فإِنِّي أُومِنُ بهذا أَنَا وأَبُو بَكْرٍ وعُمَرُ، - وما هُما ثَمَّ -»[1] فتكلمت البقرة فمن الذي أنطقها، إنه الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى فلا إله إلا الله وحده لا شريك له كيف خلق وصور ورزق وأبدع ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾[2].

❊❊❊

(١) صحيح البخاري (٣٤٧١).

(٢) سورة فصلت: آية ٥٣.

الخوف من الله

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً... أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾[1].

لقد نثر طول الأمد رداءه على البعض فأصبح الكثير من الناس يقترف المحرمات ويتهاون بالطاعات وأمسى التسويف حاجزاً عن التوبة والعقبات فلم يطرق الخوف قلوبهم ولم يلازم الوجل نفوسهم فانهمكوا في الفرح والترح وكأنهم مخلدون في هذه الدنيا ... تجاهلوا سيرة من كانوا قبلهم في تذكر الموت والخوف مما بعد الموت.

والخوف: عبارة عن تألم القلب و احتراقه بسبب توقع مكروه في المستقبل، وقد جمع الله للخائف منه فضلاً عظيماً فقال جَلَّ وَعَلَا ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ٤٦﴾[2].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: المعنى خاف مقامه بين يدي ربه للحساب فترك المعصية فهذا هو الواجب علينا جميعاً.

(١) سورة الحشر: آية ١٨.

(٢) سورة الرحمن: آية ٤٦.

في الحديث عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «خَطَبَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُطْبَةً ما سَمِعْتُ مِثْلَهَا قَطُّ، قالَ: لو تَعْلَمُونَ ما أعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، ولَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، قالَ: فَغَطَّى أصْحَابُ رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وُجُوهَهُمْ لهمْ خَنِينٌ، فَقالَ رَجُلٌ: مَن أبِي؟ قالَ: فُلَانٌ، فَنَزَلَتْ هذِه الآيَةُ: ﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[1]»[2].

ومن ثمرة الخوف من الله أن من خاف الله أخاف الله منه كل شيء ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء.

إن إتباع الهوى وطول الأمل مادة كل فساد فإن إتباع الهوى يعمي عن الحق معرفة وقصد وطول الأمل ينسي الآخرة ويصدر عن الاستعداد لها.

قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا قيل لك هل تخاف الله؟ فأسكت فإنك إن قلت نعم كذبت وإن قلت لا كفرت.

والكثير منا لو سئل هذا السؤال لأجاب بالجواب الأول وهو مقيم على المعصية مصر على كبيرة مستغرق في صغيرة فأين الخوف من الله وأين التفكر في المآل والمعاد والجزاء والحساب.

هل من تعامل بالربا يخاف الله حقيقة ؟

هل من عق والديه يخاف الله حقيقة ؟

هل من ترك الصلاة يخاف الله حقيقة ؟

هل من نظر إلى الحرام يخاف الله حقيقة ؟

هل من يستمع إلى الحرام يخاف الله حقيقة ؟

(١) سورة المائدة: آية ١٠١.

(٢) صحيح البخاري (٤٦٢١).

وتأمل إلى من ذكرهم الله تعالى بقوله ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾﴾[1].

يقول الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: ما ظنك بيوم قاموا فيه على أقدامهم مقدار خمسين ألف سنة لا يأكلون فيها أكلة ولا يشربون فيها شربة حتى انقطعت أعناقهم عطشاً واحترقت أجوافهم جوعاً انصرف بهم - يقصد العصاة والمجرمين - إلى لنار فسقوا من عين آنية قد آن حرها واشتد لفحها.

نعوذ بالله من تلك الحال.

فكرت في نار الجحيم وحرها ... يا ويلتاه ولات حين مناص

فدعوت ربي إن خير وسيلتي ... يوم المعاد شهادة الإخلاص

والخوف الحقيقي هو خوف السر والخلوة ليس الخوف والخشية التي تكون ظاهرة للعيان مع أنها محمودة ولكن تلك أنفع وأخلص.

قال أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خرج عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوماً وخرجت معه حتى دخل حائطاً فسمعته يقول: وبيني وبينه جوار وهو في جوف الحائط عمر بن الخطاب أمير المؤمنين بخٍ بخٍ والله لتتقين الله يا ابن الخطاب أو ليعذبنك.

وعندما بكى الحسن فيقال له ما يبكيك قال أخاف أن يطرحني في النار غداً ولا يبالي.

امنع جفونك أن تذوق مناماً ... وذر الدموعَ على الخدود سجاما

واعلم بأنك ميت ومحاسب ... يا من على سخط الجليل أقاما

لله قوم أخلصوا في حبه ... فرضى بهم واختصهم خدّاما

(١) سورة النور: آية ٣٧.

قـوم إذا جـن الـظـلام عليهم بـاتـوا هـنـالـك سـجـداً وقيامًا
خمص البطون من التعفف ضمراً لا يعرفون سوى الحلال طعاما

وإن كثيـراً مـن الجهال اعتمدوا علـى رحمة الله وعفوه وكرمـه فضيعوا أمره ونهيه ونسوا أن الله شديد العقاب وأنه لا يرد بأسه عن القوم المجرمين ومن اعتمد على العفو مع الإصرار على الذنب فهو كالمعاند.

قال معروف الكرخي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: رجاؤك لرحمة من لا تطيعه من الخذلان والحمق.

وفقني الله وإياكم لما يحب ويرضى.

❊❊❊

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى وصلاة وسلاماً على عباده الذين أصطفى وسلم تسليماً مزيداً إلى يوم اللقاء ... أما بعد:

فإن قوة المراقبة والمحاسبة والمجاهدة بحسب قوة الخوف الذي هو تألم القلب واحتراقه وقوة الخوف بحسب قوة المعرفة بجلال الله وصفاته وأفعاله وبعيوب النفس وما بين يديها من الأخطار والأهوال.

وإذا استغنى الناس بالدنيا فاستغن أنت بالله، وإذا فرحوا بالدنيا فافرح أنت بالله، وإذا أنسوا بأحبابهم فاجعل أنسك بالله وإذا تعرفوا إلى ملوكهم وكبرائهم وتقربوا إليهم لينالوا بهم العزة والرفعة فتعرف أنت إلى الله وتودد إليه تنل بذلك غاية العز والرفعة.

وعلى الإنسان أن يخشى الله ويعلم أنه راحل وأنه مسافر فعليك الاستعداد لذلك ولكن الواقع يظهر خلاف ذلك فواقع الناس اليوم وتوسعهم في أمر الحديث والضحك والهزل والمزاح مدعاة للتفكر والسؤال.

ما الذي دعاهم إلى كل هذا الفرح والسرور؟

قال الحسن: ضحك المؤمن إنما هو غفلة منه، وقد كان الحسن يطبق هذا القول في واقع حياته فقد قال عنه يونس لا تكاد تلقاه إلا وكأنه رجل قد أصيب بمصيبة، هذه هي حالهم وتلك دنياهم والله المستعان.

أيا عجبًا للناس في طول ما سهوا ... وفي طول ما اغتروا وفي طول ما لهو

يقولون نرجوا الله ثم افتروا به ... ولو أنهم يرجون خافوا كما رجوا

ذكر الله تعالى

الحمد لله ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾[1] وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إنه كان بعباده خبيراً بصيراً وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى آله وأصحابه الذين كانوا يذكرون الله كثيراً ويسبحونه بكرة وأصيلا وعلى من تبعهم من المؤمنين وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً ... أما بعد:

فاتقوا الله تعالى ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٤٥﴾[2].

وحديثي عن ذكر الله تعالى وأثره وأثر الإعراض عنه وذكر الله عَزَّوَجَلَّ من أعظم القربات وأفضل الطاعات وسبب لرفع الدرجات قال سبحانه ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ٢٣٩﴾[3]. وقال سبحانه ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ﴾[4] فذكر الله هو أفضل ما يشغل به الإنسان نفسه بالجملة قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ألا أنبِّئُكُم بخيرِ أعمالِكُم، وأزكاها عندَ مليكِكُم، وأرفعِها في درجاتِكُم وخيرٌ لَكُم مِن إنفاقِ الذَّهبِ والورِقِ، وخيرٌ لَكُم من أن تلقَوا عدوَّكُم فتضرِبوا أعناقَهُم ويضربوا أعناقَكُم؟ قالوا: بلَى. قالَ: ذِكْرُ اللَّهِ تَعالى»[5].

(١) سورة الإسراء: آية ٤٤.
(٢) سورة الأنفال: آية ٤٥.
(٣) سورة البقرة: آية ٢٣٩.
(٤) سورة العنكبوت: آية ٤٥.
(٥) صحيح الترمذي (٣٣٧٧).

ولقد كان النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يذكر الله في كل أحيانه. ووصف الله المؤمنين بأنهم يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم وقد ذهب أكثر المفسرين إلى أن المراد هو المداومة على ذكر الله في غالب الأحوال لأن الإنسان قل أن يخلو من إحدى هذه الحالات الثلاث وهي القيام والقعود وكونه نائماً على جنبه.

ذكر الله تعالى هو الحصن الحصين من شياطين الإنس والجن وهو الوقاية من عذاب الله تعالى، قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**وإنَّ ريحَ الصَّائم أطيبُ عندَ اللهِ من ريحِ المسكِ، وآمرُكم بالصَّدقةِ؛ فإنَّ مثَلَ ذلك كمثَلِ رجلٍ أسَرَه العدوُّ، فأوثَقوا يدَه إلى عنُقِه، وقدَّموه ليَضربوا عُنقَه، فقال: أنا أَفْديه منكم بالقليلِ والكثيرِ، ففدَى نفسَه منهم، وآمُركم أن تَذكُروا اللهَ؛ فإنَّ مَثلَ ذلك كمَثلِ رجلٍ خرَج العدوُّ في أثَرِه سِراعًا حتَّى إذا أتى على حِصنٍ حَصينٍ، فأحرَز نفسَه منهم**»[(١)].

ولقد أمر الله تعالى بالإكثار من ذكره فقال عَزَّوَجَلَّ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١﴾[(٢)] ولقد ذكر سبحانه إن من صفات الذين يتأسون برسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنهم يذكرون الله كثيراً بعد الإيمان الصادق بالله واليوم الآخر قال سبحانه ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾[(٣)].

وإن كثرة ذكر الله تعالى أمان من النفاق فإن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً قال كعب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «من أكثر ذكر الله عَزَّوَجَلَّ بريء من النفاق».

(١) صحيح الترمذي (٢٨٦٣).

(٢) سورة الأحزاب: آية ٤١.

(٣) الأحزاب: ٢١.

وقد أتى رجل أبا مسلم الخولاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال له أوصني يا أبا مسلم قال: اذكر الله تعالى تحت كل شجرة ومدرة فقال زدني فقال اذكر الله حتى يحسبك الناس من ذكر الله مجنوناً قال: وكان أبو مسلم يكثر ذكر الله فرآه رجل وهو يذكر الله فقال أمجنون صاحبكم هذا فسمعه أبو مسلم فقال: ليس هذا بالجنون يا أبن أخي ولكن هذا دواء الجنون.

وإن الله تعالى وعد الذاكرين الله كثيراً والذاكرات وغيرهم مغفرة وأجراً عظيماً والمراد بذكر الله كثيراً هو كما قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا يذكر الله في أدبار الصلوات وغدواً وعشياً وفي المضاجع وكلما استيقظ من نومه وكلما غدا أو راح من منزله ذكر الله تعالى.

ودونك طائفة من الأمثلة على ما يذكر به الله تعالى فقد قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَلِمَتانِ حَبِيبَتانِ إلى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتانِ علَى اللِّسانِ، ثَقِيلَتانِ في المِيزانِ: سُبْحانَ اللَّهِ وبِحَمْدِهِ، سُبْحانَ اللَّهِ العَظِيمِ»[1].

وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَن قال: سبحانَ اللهِ وبِحَمدِهِ، في يَومٍ مِئةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خطاياه، وإنْ كانتْ مِثلَ زَبَدِ البَحرِ»[2] وكل الأعمال التي تقرب إلى الله تعالى فهي ذكر الله سبحانه.

وذكر الله عَزَّوَجَلَّ له أثر عظيم فهو سبب لخشوع القلب ووجله وذهاب قسوته كما أن الذكر سبب لطمأنته القلب ورقته قال تعالى ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾[3]. ومن أثر الذكر أنه ينهي عن

(١) أخرجه البخاري (٧٥٦٣) واللفظ له، ومسلم (٢٦٩٤).
(٢) أخرجه البخاري (٦٤٠٥) واللفظ له، ومسلم (٢٦٩١) مطولًا.
(٣) سورة الرعد: آية ٢٨.

الفحشاء والمنكر ويدعو الذاكرين إلى الاستغفار والتوبة.

أن ذكر الله يسهل الصعب وييسر العسير ويخفف المشاق فما ذكر الله عَزَّوَجَلَّ على صعب إلا هان ولا عسير إلا تيسر ولا على مشقة إلا خَفَّت ولا شدة إلا زالت ولا كربة إلا انفرجت وإن ذكر الله يقوي المجاهدين عند اللقاء ويورث النصر على الأعداء قال جَلَّوَعَلَا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٤٥﴾[1]. ولقد ذكر العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ مائة فائدة في ذكر الله في كتابه الطيب الوابل الصيب.

ومن أسباب حياة القلوب بذكر الله حضور المساجد وانتظار الصلاة فيها وقراءة القرآن واستماعه وحضور مجالس العلم والذكر. وإن ذكر الله يزيل الران من القلوب.

قال أبو الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «إن لكل شيء جلاء وإن جلاء القلوب ذكر الله تعالى».

وصدأ القلب بأمرين بالغفلة والذنب وجلاؤه بشيئين بالاستغفار والذكر.

فاتق الله واذكر ربك كثيراً وسبح بالعشي والإبكار واشتغل بذكر الله عن ذكر الناس والخوض فيما لا يعنيك تكسب وقتك وترضي ربك وتنتصر على عدوك.

أسأل الله أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته وأن يجعلنا جميعًا من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة.

❋❋❋

(١) سورة الأنفال: آية ٤٥.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ... أما بعد:

فاحذروا الغفلة عن ذكر الله فإن ذلك شأن الخاسرين وإن الإعراض عن ذكر الله ينقل العبد من حزب الله إلى حزب الشيطان قال سبحانه ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾[1].

وللشيطان وسائل ينـي بها الناس عن ذكر الله تعالى منها الخمر والميسر وغيرهما من اللهو والباطل وكذلك الابتعاد عن المساجد والتكاسل عن الطاعات وهجر القرآن واستماع الأغاني. ولقد توعد سبحانه المعرضين بالضنك في حياتهم وإن كانوا مترفين قال عَزَّوَجَلَّ ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾[2]. وقال عَزَّوَجَلَّ ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾[3].

وقال بعض السلف: علامة إقبال الله على العبد أن تراه ذاكراً شاكراً صابراً وعلامة إعراض الله عن العبد أن تراه ساهياً لاهياً معرضاً عن ذكر الله تعالى.

اللهم اجعلنا من الذين يذكرونك ويشكرونك ولا يكفرونك.

❋❋❋

(١) سورة المجادلة: آية ١٩.
(٢) سورة طه: آية ١٢٤.
(٣) سورة الجن: آية ١٧.

وقفات مع قوله تعالى ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ ﴾[1]

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ... أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[2].

يخيل لبعض الناس أن الجوع لا يكون إلا في زمن الفقر وأن الخوف لا يكون إلا مع الضعف وأن المرض لا يكون إلا في الحياة البدائية ولكن أحداث الزمان تثبت أن الجوع قد يحصل في زمن الغنى بل ربما تزامن الفقر مع إهدار الثروات في البحر وإحراقها في البر وربما وقع الخوف للأغنياء وكم يشعر الناس انتشار الأمراض وتنوعها في زمن الطب ودقة تخصصات الأطباء، أجل إنها الحكمة الربانية والبلوى تحل وترتحل وتنتقل عبر الأجيال والأمم لتؤكد وعد الرحمن في القرآن ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾[3]. وحول هذه الآية أقف وقفات مهمة:

أولاً: هذه البلوى في الآية شاملة للخوف من الأعداء والجوع وذلك بقلة

(١) سورة البقرة: آية ١٥٥.

(٢) سورة المائدة: آية ٣٥.

(٣) سورة البقرة: آية ١٥٥.

الطعام وذهاب الأموال وذلك بجوائح سماوية أو غرق أو ضياع أما نقص الأنفس فبموت الأصحاب والأقارب والأحباب وقلة البركات في الثمار فلا تُغلُ الحدائق ولا تنتج المزارع وذلك نقص الثمرات.

ثانياً: وثمة بلايا وأمراض أخرى، ألسنا نشهد في هذه الايام ونسمع عن أمراض لم نسمع بها من قبل وما أن ينتهي مرض إلا ويبدأ آخر وهكذا من مسميات وأمراض لم نسمع بها من قبل ومن أمراض الأورام الخبيثة المنتشرة إلى مرض حمى الوادي المتصدع إلى الحمى القلاعية إلى مرض سارس (أنفلونزا الخنازير) إلى كورونا، وإن من البلايا أن يصاب الناس بالرعب في طعامهم ومن المحن أن يتوفر الغذاء ثم لا يستفيدون منه شيئاً خشية أن ينتقل منه من أمراض.

ثالثاً: ومع أهمية الحيطة والحذر والأخذ بالأسباب المشروعة فأهم ذلك اليقين والتوكل على الله تعالى وحين نورد هذه الأخبار لا من أجل التخويف وإنما لأخذ العبرة وللتنبيه إلى ضرورة العودة إلى الله ومراجعة النفس فتلك بلايا ومحن وغيرها كثير يمتحن به الناس ليرجعوا إلى خالقهم وليراجعوا أعمالهم وتأملوا رحمكم الله قوله تعالى ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾[1] وقوله أيضاً ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾[2].

رابعاً: من أسرار المصائب ونتائجها أن الله تعالى يبتلي الناس بالسراء والضراء ليرى وهو أعلم شكرهم وصبرهم وما دام الحديث عن البلاء فقد قال العارفون: إن من أسرار ذلك أن المسلمين إذا ابتلوا فصبروا عزت عقيدتهم في نفوسهم ثم

(١) سورة الروم: آية ٤١.
(٢) سورة البقرة: آية ١٥٦.

انتقلت هذه العزة إلى أعدائهم إذ يقولون لولا ما في هذه العقيدة التي ينتمون لها من خير لما صبروا على تكاليفها ..

ومن أسرار البلاء أيضاً أن يصلب عودُ أصحاب العقيدة ويقوى إذا المحنُ والبلايا تستخرجُ مكنون القوى وما عند العبد من طاقة وتفتح للقلوب منافذ من الخير ما كان لها أن تظهر إلا تحت مطارق الشدائد والمحن. وسر ثالث وهو مهم وهو الإلتجاء إلى الله تعالى.

وتلك تربية للنفوس في زمن الشدائد لا يعقلها إلا من صبر ورجع إلى ربه أولئك يبشرون بالجزاء في الدنيا قبل الآخرة ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦﴾[1].

خامساً: ما جزاء الصبر على البلاء؟

والجواب: تجدون ذلك في قوله تعالى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ۝١٥٧﴾[2]. قال بعض المفسرين: أمنة من العذاب.

وقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نعم العدلان ونعمة العلاوة. أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة فهذان: العدلان وأولئك هم المهتدون فهذه العلاوة والمعنى أعطوا ثوابهم وزيادة.

وهنا تتحول البلايا إلى عطايا والمحن إلى منح ولكن دون ذلك الصبر والتقى واليقين والتوكل والاحتساب والشكر وتلك وأمثالها من معان قيمة لا يلقاها إلا ذو حظ عظيم.

(١) سورة البقرة: آية ١٥٥-١٥٦.
(٢) سورة البقرة: آية ١٥٧.

سادساً: من أسرار هاتين الآيتين ودروسهما ما قاله السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اشتملت هاتان الآيتان على توطين النفوس على المصائب قبل وقوعها لتخف وتسهل إذا وقعت وبيان ما تقابل به إذا وقعت وهو الصبر وبيان ما يعين على الصبر وما للصابرين من أجر وإن هذا الابتلاء سنة من سنن الله تعالى، كما قال سبحانه ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾[1].

سابعاً: أننا بحاجة ماسة إلى الصبر في هذه الحياة بحلوها ومرها وعاجلها وآجلها، ونحن بحاجة إلى الصبر على طاعة الله وبحاجة إلى الصبر عن معاصي الله وبحاجة إلى الصبر على أقدار الله المؤلمة وقد قال العالمون الصبر صبران صبر عن معصية الله فهذا مجاهد وصبر على طاعة الله فهذا عابد. فإذا صبر العبد أورثه الله الرضا بقضائه وعلامة الرضا الرضا سكون القلب بما ورد على النفس من المكروهات والمحبوبات.

اللهم ارزقنا الصبر على طاعتك والصبر عن معصيتك والصبر على أقدارك المؤلمة يا رب العالمين.

❊❊❊

(١) سورة محمد: آية ٣١.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً كما يحب ويرضى ربنا وأشهد أن لا اله إلا الله وأشهد أن محمداً عبد ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ... أما بعد:

فإن من رحمة الله بعباده أن يبتليهم ليرفع درجاتهم ويكفر عنهم سيئاتهم، وكم يتألم المرء لضرٍ نزل به والله تعالى أراد الخير له ولكم يحزن الإنسان لشيء فاته والله يريد أن يعوضه خيراً منه.

فهل ندرك السر؟ وهل نحتمي بالصبر مع احتساب الأجر من الله.

وأسوق لكم طائفة من أقوال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في ذلك فقد قال صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «ما يُصِيبُ المُسْلِمَ، مِن نَصَبٍ ولَا وصَبٍ، ولَا هَمٍّ ولَا حُزْنٍ ولَا أذًى ولَا غَمٍّ، حتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بهَا مِن خَطَايَاهُ»(١).

وقال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «ما يزالُ البلاءُ بالمؤمنِ والمُؤْمِنَةِ في نفسِهِ وولدِهِ ومالِهِ ، حتَّى يلقَى اللهَ وما علَيهِ خطيئةٌ»(٢).

وقال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إنَّ عِظمَ الجزاءِ مع عِظمِ البلاءِ ، وإنَّ اللهَ إذا أحبَّ قومًا ابتَلاهم ، فمَن رَضي فله الرِّضَى ، ومَن سخِط فله السَّخطُ»(٣).

ولنتذكر دائماً حديث النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حيث قال: «ما مِن عَبْدٍ تُصِيبُهُ

(١) أخرجه البخاري (٥٦٤١).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٩٩) واللفظ له، وأحمد (٧٨٥٩).

(٣) صحيح الترمذي (٢٣٩٦) حسن.

مُصِيبَةٌ، فيَقـولُ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾[1]، اللَّهُمَّ أْجُرْنِي في مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لي خَيْرًا منها، إلَّا أَجَرَهُ اللَّهُ في مُصِيبَتِهِ، وَأَخْلَفَ له خَيْرًا منها»[2].

رزقنا الله وإياكم الصبر على أقدار الله تعالى.

❊❊❊

(١) سورة البقرة: آية ١٥٥-١٥٦.

(٢) صحيح مسلم (٩١٨).

القرآن يا أمة القرآن

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليماً كثيراً ... أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[1].

لقد أرسل الله تعالى نبيه محمداً ﷺ ليخرج الناس من غياهب الظلمات وأكرمه سبحانه بالآيات البينات والمعجزات الباهرات، فكان الكتاب المبارك أعظمها قدراً وأعلاها مكانة وفضلاً، قال ﷺ: «ما مِنَ الأنْبياءِ نَبِيٌّ إلَّا أُعْطِيَ ما مِثْلُهُ آمَنَ عليه البَشَرُ، وإنَّما كانَ الذي أُوتِيتُ وحْيًا أوْحاهُ اللَّهُ إلَيَّ، فأرْجُو أنْ أكُونَ أكْثَرَهُمْ تابِعًا يَومَ القِيامَةِ»[2].

إنه القرآن كتاب الله ووحيه المبارك ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١﴾[3].

القرآن كلام الله المنزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥﴾[4]

---

(١) سورة الأحزاب: آية ٧٠-٧١.

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٨١) واللفظ له، ومسلم (١٥٢).

(٣) سورة هود: آية ١.

(٤) سورة الشعراء: آية ١٩٢-١٩٥.

أحسن الكتب نظاماً وأبلغها بياناً وأحكمها كلاماً وأبينها حلالاً وحراماً ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾[1].

فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الجد ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى بغيره أضله الله هو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الرد لا تنقضي عجائبه من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم، أنزله الله رحمة للعالمين ومحجة للسالكين وحجة إلى الخلق أجمعين ومعجزة باقية لسيد الأولين والآخرين.

أعز الله مكانه ورفع سلطانه ووزن الناس بميزانه من رفعه رفعه الله ومن وضعه وضعه قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بهذا الكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ به آخَرِينَ»[2].

فما حالنا مع القرآن؟ إنه لفرق شاسع وبون واسع بين ما نحن فيه وما يجب أن نكون عليه، إهمالاً في الترتيل والتلاوة وتكاسلاً عن الحفظ والقراءة وغفلة عن التدبر والعمل والأعجب أن ترى بعضهم يقرأ الصحف والأخبار أكثر من قراءة كتب الله عَزَّوَجَلَّ، ترى أحدنا إذا قرأ القرآن لم يحسن النطق بألفاظه ولم يتدبر معانيه ويفهم مراده، فترانا نمر على الآيات التي طالما بكى منها الباكون وخشع لها الخاشعون والتي لو أنزلت على جبل ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾[3] فلا ترق قلوبنا ولا تخشع نفوسنا ولا تدمع عيوننا رحم الله حالنا.

(١) سورة فصلت: آية ٤٢.
(٢) صحيح مسلم (٨١٧).
(٣) سورة الحشر: آية ٢١.

وترانا نمر على الآيات تلو الآيات والعظات تلو العظات ولا نفهم معانيها ولا ندرك مراميها وكأن أمرها لا يعنينا وخطابها لا يناجينا. فأي هجران هذا والرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: «والْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ، أوْ عَلَيْكَ»(١).

ولنتأمل في أخبار أهل القرآن وفضلهم فلعل في ذكرهم إحياء للعزائم والهمم وترغيبا فيما نالوه من عظيم النعم فأهل القرآن هم الذين جعلوا القرآن منهج حياتهم وقيام أخلاقهم ومصدر عزهم وصفهم الله بقوله ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾(٢).

وفي الحديث أن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «إنَّ للهِ تعالى أهلِينَ من الناس: أهلُ القرآنِ، هم أهلُ اللهِ و خاصتُه»(٣).

رفعوا القرآن فرفع الله قدرهم فقد قال صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إنَّ من إجلالِ اللهِ تعالى إكْرامَ ذي الشَّيْبةِ المسلمِ، وحامِلِ القُرآنِ غيرِ الغالي فيه والجافي عنه، وإكرامَ ذي السُّلطانِ المُقسِطِ»(٤). ففضلهم ليس كفضل أحد وعزهم ليس كعز أحد منهم أطيب الناس كلاماً وأحسنهم مجلساً ومقاماً تغشى مجالسهم الرحمة وتنزل عليهم السكينة. وفي الحديث عن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «وَما اجْتَمعَ قَوْمٌ في بَيْتٍ مِن بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بيْنَهُمْ، إلَّا نَزَلَتْ عليهم السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَن عِنْدَهُ»(٥) وهم في مأمن من أعظم فتنة التي هي فتنة الدجال ففي الحديث «مَن حَفِظَ عَشْرَ آياتٍ مِن أوَّلِ

(١) صحيح مسلم (٢٢٣).
(٢) سورة الأنفال: آية ٢.
(٣) صحيح الجامع (٢١٦٥).
(٤) أخرجه أبو داود (٤٨٤٣) واللفظ له، والبزار (٣٠٧٠)، والبيهقي (١٧١٠١).
(٥) صحيح مسلم (٢٦٩٩).

سُورَةِ الكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ»[1].

هذا شيء من منزلتهم في دار الفناء أما في دار البقاء فهم من أعظم الناس كرامة وأرفعهم درجة وأعلاهم مكانة. قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُقالُ لصاحبِ القرآنِ اقرأْ وارتقِ ورتِّلْ كما كنت تُرتِّلُ في الدنيا فإنَّ منزلَك عند آخرِ آيةٍ تقرؤُها»[2].

وفي الحديث «من قرأ القرآنَ وتعلَّم وعمِل به أُلْبِس والداه يومَ القيامةِ تاجًا من نورٍ ضوءُه مثلُ الشَّمسِ ويُكسَى والداه حُلَّتَيْن لا يقومُ لهما الدُّنيا فيقولان بمَ كُسينا هذا فيُقالُ بأخذِ ولدِكما القرآنَ»[3].

وهم مع هذا في موقف القيامة آمنين إذا فزع الناس مطمئنين إذا خاف الناس شفيعهم بعد رحمة الله تعالى القرآن وقائدهم هنالك سوره الكرام فعن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اقْرَؤُوا القُرْآنَ فإنَّه يَأْتي يَومَ القِيامَةِ شَفِيعًا لأَصْحابِهِ»[4]. فهل يا ترى يغيرهم بعد ذلك شيء ؟

اللهم اجعلنا من أهل القرآن الذي هم أهلك وخاصتك، اللهم اجعل القرآن ربيع قلوبنا ونور صدورنا وحجة لنا لا علينا.

❋❋❋

(١) أخرجه مسلم (٨٠٩).

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٦٤) واللفظ له، والترمذي (٢٩١٤)، والنسائي في (السنن الكبرى) (٨٠٥٦)، وأحمد (٦٧٩٩).

(٣) أخرجه الحاكم (٢٠٨٦).

(٤) صحيح مسلم (٨٠٤).

الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ... أما بعد:

فاتقـوا الله واعلموا أن للقرآن علينا واجبـًا فمن حقه علينا الاعتقاد فيه بعقيدة أهل السنة والجماعة فهو كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، تكلم الله بـه قولاً وأنزله على رسـوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحيـًا نزل به الـروح الأمين على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاتم الأنبياء والمرسلين.

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «من كان يحب أن يعلم أنه يحب الله فليعرض نفسـه على القرآن فإن أحب القرآن فهو يحبه الله فإنما القرآن كلام الله».

ومن واجبنا تجاه القرآن تعلم علومه وتعليمه والدعوة إليه قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُكُمْ مَن تَعَلَّمَ القُرْآنَ وعَلَّمَهُ»[1].

وأي خزي أن يشيب الرجل في الإسلام وهو لا يحسن تلاوة القرآن.

ومـن واجبنا تلاوة القرآن وتدبره آنا الليل وأطراف النهار وأن نعمل بأحكامه وأوامره والتخلق بأخلاقه ولنجدد العلاقة مع كتاب الله تعالى.

جعلنا الله وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

❋❋❋

(١) صحيح البخاري (٥٠٢٧).

الكنوز الضائعة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ... أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[1].

هل سمعتم عن الكنوز الضائعة تلك الكنوز الغالية النفيسة التي لا تقدر بثمن فهي أغلى من كنوز الدنيا، وللأسف أن أكثر الناس ليس لديه علم بقدرها وفضلها إلا من رحم الله.

لعمرك ما الإنسان إلا بدينه ... فلا تترك التقوى إتكالاً على النسبِ
فقد رفع الإسلام سلمان فارسٍ ... وقد وضع الشرك النسيب أبا لهب

فتلك الكنوز هي الأعمال الصالحة التي هي أعظم كنز يمكن أن يكنزه الإنسان في هذه الحياة وبعد الممات، وإذا أردنا أن نعرف المزيد عن الأعمال الصالحة فلن نجد أصدق ولا أحسن ما سنجده في كتاب الله تعالى وسنة نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ فلن نجد أحسن أخبارا عما سنجده في كتاب الله تعالى الذي هو حق وكل ما فيه حق ونزل بالحق يقول سبحانه ﴿وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ١٠٥﴾[2]. وإذا رجعنا إلى القرآن نتلوه سورة سورة وآية آية فإذا نجد أن

(١) سورة آل عمران: آية ١٠٢.

(٢) سورة الإسراء: آية ١٠٥.

ذكـر العمل الصالح جاء ذكـره في أربع وثمانين مرة أو تزيد في ذكر العمل الصالح فقـط فما بالـك إذا أردت أن تعد الأعمال الصالحة التي جاء ذكرها في القرآن مثل الإيمـان والصلاة والـزكاة والحج والجهاد والصدقـات وغيرها من الأعمال فلا شـك أنك سـتنتهي إلى رقم كبير جـداً يدلك على أهمية تلـك الأعمال الصالحة بـل إن القرآن الكريم مـن أوله إلى آخره أمر بالأعمال الصالحة ودعوة إليها ونهي عن الأعمال السـيئة وتحذير منها يقـول تعالى ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٠﴾[1].

إن هـذه الآية تقرر بـكل وضوح لا لبس فيه أن جميع مـا يؤتى الناس في هذه الحياة الدنيا من أموال وبنين ونسـاء ومراكب وقصور ودور وغيرها إنما هي متاع وزينة فقط والمتاع يتمتع به فترة ثم ينتهي والزينة يتزين بها الإنسـان فترة ثم تنتهي أو تـزول. ولكـن ما عند الله الـذي هو ثواب مـن الله تعالى للعباد علـى أعمالهم الصالحـة خير من ذلك كلـه وأبقى ثم تأمل حفظك الله كيـف ختمت الآية بقوله أفـلا تعقلون؟. فأين عقول النـاس وأين العقلاء وأين المفكـرون الذين يدركون هذه الحقائق الواضحة.

وآيـة أخرى وهي قولـه تعالـى ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٣٦﴾[2] وفي قولـه تعالـى ﴿مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٦﴾[3] وانظـروا رحمكـم الله إلى نبي الله سـليمان عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ والأنبياء هـم أعرف الناس بقدر الأعمـال الصالحـة وفضلهـا، انظروا إلـى قصته في سـورة النمل حينما حشـر له

(١) سورة القصص: آية ٦٠.
(٢) سورة الشورى: آية ٣٦.
(٣) سورة النحل: آية ٩٦.

جنوده من الإنس والجن والطير لأن سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ آتاه الله ملكًا عظيمًا ومع عظمة هذا الملك أنه سأل الله تعالى عمل الصالحات التي هي خير وأبقى فماذا قال بعد أن سمع تلك النملة تحذر من سليمان وجنوده ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾[1].

وذلكم قارون الذي أعطاه الله من الكنوز والأموال ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾[2] فخرج في مواكبه ومراكبه وزينته وكنوزه وغير ذلك فرآه الناس فبعضهم تمنى أن لو كان عنده مثلما عند قارون وأولئك أصحاب الدنيا أحب النظر الدنيء أولئك الذين غطت الدنيا أعينهم عن النظر إلى الآخرة وزينتها وبقاءها والله المستعان وما زالوا إلى زماننا هذا أولئك أصحاب تلك النظرات التي لا تتعدى هذه الحياة ومتعها ومع ذلك كانت نظرة أولئك الذين فتح الله على قلوبهم بنظرتهم الثاقبة المستقيمة إلى ما عند الله هي النظرة الحقيقية إلى متع هذه الدنيا فبصرهم الله بالعلم والإيمان وذكّروا الناس بأن ثواب الأعمال الصالحة هي خير مما أوتي قارون يقول عَزَّوَجَلَّ ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾[3].

وقد مر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقبر رجل دفن حديثًا فأراد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يبين لأصحابه أن العمل الصالح لهذا الرجل أحب إليه من الدنيا وما فيها ففي الحديث الذي رواه الطبراني عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:

(١) سورة النمل: آية ١٩.
(٢) سورة القصص: آية ٧٦.
(٣) سورة القصص: آية ٧٩-٨٠.

«ركعتانِ خفيَّتانِ بِما تَحقِرُونَ وتَنفِلُونَ يَزيدُهما هذا فـي عملِهِ أَحَبُّ إليه من بقيَّةِ دُنياكُمْ»[1].

وأخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو من أعرف الناس بقدر الأعمال الصالحة أن قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لأَنْ أَقُولَ سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عليه الشَّمْسُ»[2] ولك أن تتصور على ماذا تطلع الشمس تطلع على دول وممالك في مدن وقرى على قصور ودور على ما فيها من لذة وحبور ولكن هذه الكلمات الأربع اليسيرة هي أحب إليه مما تطلع عليه الشمس صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد بين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأمته في عدد من الأحاديث عن أعمال صالحة أنها خير من الدنيا وما فيها أو خير مما طلعت عليه الشمس وذلك لتدرك أمته قيمة الأعمال الصالحة فصلوات الله وسلامه عليه ففي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَغَدْوَةٌ في سَبيلِ اللَّهِ أوْ رَوْحَةٌ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيا وما فيها»[3].

ويقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الذي رواه مسلم: «رَكْعَتَا الفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَما فِيهَا»[4].

وروى مسلم في صحيحه قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيُحِبُّ أحَدُكُمْ إذا رَجَعَ إلى أهْلِهِ أنْ يَجِدَ فيه ثَلاثَ خَلِفاتٍ عِظامِ سِمانٍ؟ قُلْنا: نَعَمْ، قالَ: فَثَلاثُ آياتٍ يَقْرَأُ بهِنَّ أحَدُكُمْ في صَلاتِهِ، خَيْرٌ له مِن ثَلاثِ خَلِفاتٍ عِظامٍ سِمانٍ»[5].

---

(١) أخرجه ابن المبارك في (الزهد) (٣١) واللفظ له، وابن أبي شيبة في (المصنف) (٧٧١٥) باختلاف يسير، والطبراني في (المعجم الأوسط) (٩٢٠) مختصراً.

(٢) صحيح مسلم (٢٦٩٥).

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٩٢)، ومسلم (١٨٨٠).

(٤) صحيح مسلم (٧٢٥).

(٥) صحيح مسلم (٨٠٢).

وروى مسلم أيضاً في صحيحه «خَرَجَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ في الصُّفَّةِ، فَقالَ: أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَومٍ إلى بُطْحَانَ، أَوْ إلى العَقِيقِ، فَيَأْتِيَ منه بنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ في غيرِ إثْمٍ، وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ؟ فَقُلْنَا: يا رَسولَ اللهِ، نُحِبُّ ذلكَ، قالَ: أَفلا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إلى المَسْجِدِ فَيَعْلَمُ، أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِن كِتَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، خَيْرٌ له مِن نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ له مِن ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ له مِن أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الإبِلِ»[1].

ويكفيك أخي المسلم في الاعتبار بأهمية الأعمال الصالحة وفضلها وأنها هي التي ستنفعك غدا يوم القيامة الحديث الذي رواه البخاري ومسلم «يَتْبَعُ المَيِّتَ ثَلاثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنانِ ويَبْقَى معهُ واحِدٌ: يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ ومالُهُ وعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ ومالُهُ ويَبْقَى عَمَلُهُ»[2]، وأحب الناس إليك من أهلك وزوجتك بعد موتك يسرعون بدفنك ول أعطوا كنوز الدنيا على أن يبقوا معك في قبرك لما رضوا أما المال فأيام قلائل ثم يقتسمونه فيما بينهم وماذا بقي إنه العمل الذي يكون معك في قبرك فإن كان صالحاً فأبشر بالخير وإن كان غير ذلك فلا تلومن إلا نفسك.

وقد أحسن من قال: ولو لم يكن للعمل الصالح من الفضل إلا أنه جليسك في قبرك وأنيسك في دار وحشتك وغربتك لكان خيراً أن يتسابق إليه المتسابقون ويتنافس فيه المتنافسون.

ستباشر الأحداث وحدك ... وسيضحك الباكون بعدك
وسيشتهي المقتربون إلـ ... ـك بعد الموت بُعدك
لو قد ضعنت عن البيوت ... ودوحها وسكنت وحدك

(١) صحيح مسلم (٨٠٣).
(٢) أخرجه البخاري (٦٥١٤) واللفظ له، ومسلم (٢٩٦٠).

لـــم تـنـتـفـع إلا بـفـعـل صـا ... لـــح إن كـــــان عـــنـــدك
وإذا الأكـــف مـــن الـتـراب ... نـفـضـن عـنـك قـعـدت وحـدك
وكـــــأن جـمـعـك قـــد غـدا ... مـا بـيـنـهـم حـصـصـاً وكـدك
يـتـلـذذون بـمـا جـمـعـت لهم ... ولا يـــجـــدون فـقـدك

اللهم ارزقنا علماً نافعاً وعملاً صالحاً.

❊❊❊

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أما بعد:

فيكفي لمعرفة قدر العمل الصالح أن الله تعالى قد أقسم في كتابة أن جميع الناس في خسارة إلا من اتصف بصفات أربع كلها أعمال صالحة وهي: الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر كلها أعمال صالحة.

إن قيمة الإنسان ليست بحسبه ولا بنسبه ولا بماله ولا بجاهه ولا بأي شيء من الدنيا وإنما قيمته بالتقوى التي هي جماع الأعمال الصالحة يقول سبحانه ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾[1] فالنسب الحقيقي والحسب الحقيقي هو في الأعمال الصالحة.

وإذا تناسبت الرجال فما أرى نسبًا يقاس بصالح الأعمال

إن قدر الأعمال الصالحة لا يعرفه كله أحد بل لا يعرفه إلا الموفقون من أهل الإيمان.

ونعم كل الناس سيعرفون قدر الأعمال الصالحة ولكن منهم من يعرفها في الدنيا فهذه هي لمعرفة التي تفيده ومنهم من سيعرفها في الآخره ولكنها معرفة لا تفيد صاحبها بل هي حسرة وندامة عليه وزيادة عذاب في حقه والعياذ بالله، واستمع رعاك الله إلى كلام العليم الخبير ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾﴾[2] ويقول سبحانه ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ

(١) سورة الحجرات: آية ١٣.

(٢) سورة المنافقون: آية ١٠.

﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾[1].

فلاحظ وفقك الله لما طلب الرجعة إلى الدنيا هل ليكمل بناء عمارته أو ليخلص استمارة سيارته أو ليجني ثمار زراعته لا والله بل ليعمل العمل الصالح ولو ركعة واحدة أو تسبيحه واحدة. فانتبه رعاك الله لهذا وبادر بالأعمال الصالحة ما دمت في زمن الإمهال فاليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل. اللهم وفقنا لما تحبه وترضاه.

❊❊❊

(١) سورة المؤمنون: آية ٩٩-١٠٠.

أسباب الرزق

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً مزيداً ... أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾[1].

إن من الأمور التي أهمت الكثير من الناس وأقلقت بالهم وأشغلت أفكارهم ألا وهو أمر الرزق وتدبير المعاش حتى سلكوا سبيله كل مسلك وسعوا إليه بكل سبيل من حله وحرامه وغفل هؤلاء أن هناك أسبابٌ أخر حين يرزق الله بها فشأنه مما لا يسمو إليه الوصف ولا يقيسه مقاس البشر فبها يعطي الله تعالى رزقًا بلا سبب ويبدعه بلا مقدمات وهذه الأسباب مع كونها أصلا في حياة المسلم عامة وطلب الرزق خاصة نهى كذلك أنس بغير أهل وعز بغير عشيرة وجاه بغير منصب وشبع بغير طعام وري بغير شراب ﴿فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝١٧﴾[2] وقال تعالى ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٦٠﴾[3].

وها هي الأسباب أيها المسلمون التي وعد الله عَزَّوَجَلَّ من تمسك بها ورعاها وأحسن استخدامها كفاه ما أهمه وساق إليه رزقه من حيث لا يحتسب والله لا يخلف الميعاد.

---

(١) سورة الطلاق: آية ٢-٣.

(٢) سورة العنكبوت: آية ١٧.

(٣) سورة العنكبوت: آية ٦٠.

أسأل الله أن ينفع بها الجميع، ولا يفهم مني البعض أنني أدعوا لترك العمل لا بل المقصد بيان الأسباب الأصلية والشرعية التي بها يرزق الله الإنسان فمن تلك الأسباب:

السبب الأول: التوكل على الله تعالى:

قال تعالى ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾[1] قال الربيع بن خثيم في تفسيره أي يرزقه من كل ما ضاق على الناس.

وفي الحديث المشهور قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لو أنَّكم كنتُم توَكلونَ علَى اللهِ حقَّ توَكلِه لرزقتُم كما يرزقُ الطَّيرُ تغدو خماصًا وتروحُ بطانًا»[2].

والتوكل على الله حق التوكل مرزوق كما ترزق الطير وكيف لا يكون كذلك فقد توكل على الحي الذي لا يموت ومن توكل عليه فهو حسبه وحقيقة التوكل على الله هو صدق اعتماد القلب على الله عَزَّوَجَلَّ في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها ..

ولا يقتضي التوكل على الله ترك الأخذ بالأسباب فإن الله قال ﴿فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ﴾[3].

السبب الثاني، تقوى الله:

فإن الله قال ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ﴾[4].

---

(١) سورة الطلاق: آية ٣.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٤٤) واللفظ له، وابن ماجه (٤١٦٤)، وأحمد (٢٠٥).

(٣) سورة الملك: آية ١٥.

(٤) سورة الطلاق: آية ٢-٣.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يجعل له من أمره مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب أي من جهة لا تخطر بباله.

وقال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «إن أكبر آية في القرآن فرجًا».

والتقوى أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية، والتقوى أن يطاع الله فلا يعصى ويذكر فلا ينس وأن يشكر فلا يكفر.

ومن فوائد التقوى، معية الله تعالى ومحبته وولايته وتيسير أمورك وتكفير ذنوبك وفتح البركات من السماء وأسباب أخرى كثيرة.

السبب الثالث: صلة الرحم:

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**مَن سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ له في رِزْقِهِ، وأَنْ يُنْسَأَ له في أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**»(١).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ باب من بسط له في رزقه بصلة الرحم. وعن علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَن سرَّه أَنْ يُمَدَّ له في عُمُرِه، ويُوَسَّعَ له في رِزقِه، ويُدفَعَ عنه ميتةُ السُّوءِ، فلْيَتَّقِ اللهَ ولْيَصِلْ رَحِمَه**»(٢).

وصلة الرحم ليست بالزيارة فقط بل تكون بالمال والعون على الحاجات وبدفع الضرر وبطلاقة الوجه والدعاء، وللصلة الرحم فضائل كثيرة ليس هذا مقام بسطها.

---

(١) صحيح البخاري (٥٩٨٥).

(٢) أخرجه عبدالله بن أحمد في (زوائد المسند) (١٢١٣) واللفظ له، والبزار (٦٩٣)، والطبراني في (المعجم الأوسط) (٣٠١٤).

والسبب الرابع: الاستغفار والتوبة:

قال تعالى ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾[1].

وقال الإمام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في هذه الآية دليل على أن الاستغفار يستنزل به الرزق والأمطار.

وخرج عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يستسقي بالناس لم يزد على الاستغفار حتى رجع فقيل له ما سمعناك استسقيت فقال: طلبت الغيث بمجاديح السماء التي يتنزل بها القطر ثم قرأ ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾﴾[2].

وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه وجنبنا أسباب سخطه وما يأباه.

❊❊❊

(١) سورة نوح: آية ١٠-١٢.
(٢) سورة نوح: آية ١٠-١١.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد:

فمن أسباب الرزق: الإحسان إلى الضعفاء:

عن مصعب بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «رَأَى سَعْدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ له فَضْلًا علَى مَن دُونَهُ، فَقالَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هلْ تُنْصَرُونَ وتُرْزَقُونَ إلَّا بضُعَفَائِكُمْ»(١).

والضعيف يدخل فيه الفقير والصغير والمجنون والأعمى والمرأة واليتيم فمن واساهم وأحسن إليهم رزقه الله تعالى من حيث لا يحتسب وبذلك ترى حكم الشريعة الإسلامية وأسرارها في قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ابغوني ضُعفائِكم، فإنما ترزقون وتنصرون بضُعفائِكم»(٢) فحيثما تحسست الضعيف وجدت رضاء الله وتأييده ونصرته عنده ويفتح لك الرزق من أوسع أبوابه وأعلم أن المرء قد يحرم الرزق بسبب الإساءة إلى الضعيف والذين معه وما أعجب ما قصه الله علينا في قصة أصحاب البستان الذين قص الله خبرهم في سورة القلم فان فيها العبرة والعظة.

ومن أسباب الرزق الإنفاق في سبيل الله:

فقد قال سبحانه ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾(٣).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: يخلف عليكم في الدنيا بالبدل وفي الآخرة بالجزاء والثواب.

(١) صحيح البخاري (٢٨٩٦).
(٢) سنن الترمذي (١٧٠٢) حسن صحيح.
(٣) سبأ: ٣٩.

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: اثنان من الله واثنان من الشيطان. الشيطان يعدكم الفقر يقول لا تنفق مالك وأمسكه لك فإنك تحتاج إليه ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه على هذه المعاصي وفضلا في الرزق.

نسأل الله تعالى أن يغفر لنا أجمعين ووالدينا والمسلمين.

❊❊❊

الفهرس

- المقدمة ٣
- البكاء من خشية الله ٦
- علم الله تعالى ١١
- أسباب رحمة الله تعالى ١٧
- سنن الله في الكون ٢٣
- ﴿ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ ٢٨
- الاستعانة بالله ٣٣
- الصبر على أقدار الله ٣٨
- الإنذار من القهار ٤٥
- لا اله إلا الله ٥٠
- عظمة الله ٥٦
- الخوف من الله ٦١
- ذكر الله تعالى ٦٦
- وقفات مع قوله تعالى ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ﴾ ٧١
- القرآن يا أمة القرآن ٧٧
- الكنوز الضائعة ٨٢
- أسباب الرزق ٩٠

❋❋❋